مدارج الكمال

آية الله العظمى

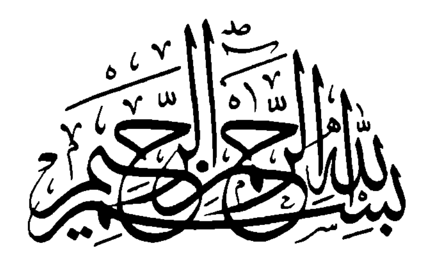
رضا بهاء الديني



دار المحجة البيضاء

دار الرسول الأكرم «ص»

مدارج الكمال



مدارج الكمال

آية الله العظمى

رضا بهاء الديني قدس سره

ترجمة

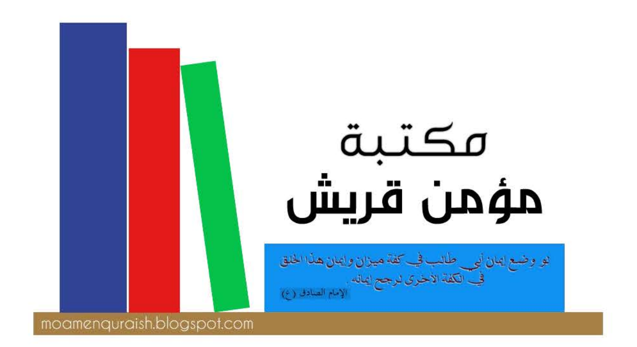
إبراهيم الخزرجي

البيان للترجمة

دار الرسول الأكرم (ص)

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ.١٩٩٨م





بيروت. لبنان. حارة حريك شارع القسيس خلف البلدية. ص ب ٨٦٠١ ١١
هاتف ٨١٤٢٩٤ ٠٣. فاكس ٨٢٣٥١٩ ٠١. ٠١٦٠١٠١٩

بيان السيّد القائد

بعث سماحة آية الله السيّد علي الخامنئي بياناً عزّى فيه أُسرة الفقيد آية الله العظمى السيّد رضا بهاء الديني وعلماء الحوزة العلميّة ، وإليكم مقتطفات من هذا البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

بلغنا ـ ومع بالغ الأسى ـ خبر وفاة العالم الربّاني والفقيه العارف حضرة آية الله الحاج رضا بهاء الديني (قدّس سرّه). لقد ثلمت الحوزة العلمية بفقد هذا العالم الجليل ثلمة لا يسدّها شيء ، حيث كان (رحمه الله) من جملة النوادر من العلماء الّذين كانوا كالنجوم في سماء العلم والمعنويّة والعرفان يهتدي بهم الخاصّ والعامّ...

لقد كان مجلسه معراجاً لأرواح الفضلاء من الشباب الّذين مزجوا تحصيل العلوم الدينية بصفاء وعطر العرفان الخالص.

وكان (رحمه الله) معلّماً للأخلاق ، وسالكاً إلى الله تعالى ، يأخذ كلامه النوراني بأزمّة قلوب العشّاق ، ويفتح لهم نوافذاً نحو عالم الملكوت.

لقد قضى هذا العالم الجليل عمره الشريف في الاستقامة والزهد في

الحياة، وهذا الدرس هو الأثر الخالد الّذي تركه بعد وفاته.

وإنّي لأُعزّي بهذا المصاب الجلل بقيّة الله الأعظم (أرواحنا فداه)، وجميع الأعاظم من علماء الحوزة العلميّة ... سائلاً من الله علوّ المقام ورفيع الدرجات لهذا العبد الصالح*.

السيّد علي الخامنئي

٢٨ / ٤ / ٧٦

(*) علمنا ـ والكتاب تحت الترجمة ـ نبأ رحيل العالم العارف آية الله العظمى رضا بهاء الديني (قدّس سرّه) ولذا ارتأينا أن نبدأ كتابنا هذا بمقتطفات من بيان سماحة القائد السيّد علي الخامنئي بهذه المناسبة، مع ذكر نبذة من حياة فقيدنا المؤلّف ﵀. **البيان للترجمة**

نبذة من حياة آية الله بهاء الديني

هو السيّد رضا بن السيّد صفي الدين الملقّب بالسيّد بهاء الديني ، ولد عام «١٣٣٠ هـ ق» في مدينة قم المقدّسة ، كان والده رجلاً صالحاً من أهل الفضل والتقوى ومن محبّي أهل البيت عليهم السلام ، يتّصل نسبه الشريف إلى الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، وكانت عائلته معروفه بالولاء والحب لأهل البيت ولعلماء الدين .

كان للسيّد رضا حافظة عجيبة لفتت أنظار العلماء منذ صغر سنّه ولم يكن يبلغ الحلم بعد ، وكان قد ورث ذلك من أبيه السيّد صفيّ الدين الذي كان لشدّة حفظه للقرآن و تتبّعه لمواضع الآيات يلقّب بكشف الآيات .

دخل وعلى عادة صبيان ذلك الزمان بما يسمّى بالمكتب وكان يبلغ من العمر عامين ، يقول هو عن نفسه :

«ذهبت في السنة الثانية من عمري إلى المكتب لتعلّم القرآن ، فحفظت سورتي الفاتحة والتوحيد والأذان والاقامة ، وتعلّمت قراءة القرآن ، ثم تعلّمت القراءة والكتابة ، وعندما بلغت السنة السادسة من عمري تعلّمت «نصاب الصبيان» وكان عبارة عن الأدب والشعر ، حيث كان المؤدّب يقرأ الشعر للمرّة الأُولى فأحفظه، وعندما اطّلع الحاج الشيخ أبوالقاسم القمّي على حافظتي وسمع خبري ، كان يأتي بنفسه إلى جلسة الدرس ويجلس الى جانبي ويأخذ بطرح

الأسئلة وأنا أُجيبه ، وكان يتعجّب من سرعة جوابي ، وقوّة حافظتي ، فأخذ يوصي بي أساتذتي .

دخلت ـ و بعد ترغيب الأساتذة ـ في سلك الحوزة العلميّة لغرض تـعلّم العلوم الدينية ، وكانت دراستي مقرونة بالتوفيق الإلهي وعناية أهل البيت عليهم السلام ، قرأت كتاب المقدّمات وكتاب الألفيّة ، وكنت ألتذّ بقراءتها.... كنت فـي الثانية عشر من عمري أُدرّس بعض الدروس ، وكنت قد تهيّأت للـحضور فـي دروس الأساتذة الكبار كدرس الشيخ عبد الكريم الحائري ـ مـؤسس الحـوزة العلميّة في قم ـ بعد ما وافق على أخذ الامتحان منّي ، فكان يسأل وأنا أجيب ، فخرجت بحمد الله مرفوع الرأس من الامتحان ، وكان هذا الامتحان بداية علاقتي بالحاج الشيخ عبدالكريم (قدّس سرّه) .

كنت مشغوفاًبالدرس والتحصيل إلى حدّ لم أخرج من المدرسة الفيضيّة الّتي لا تبعد عن بيتنا كثيراً لمدّة سنة كاملة ، وكانت والدتي عندما تريد أن تراني تأتي إلى المدرسة في ساعة معيّنة ....لم تمض السنوات إلّا وطار صيت دروسنا في قم ، حتى انّي كنت لما أدخل غـرفتي أهـوي إلى الأرض مـن كـثرة إعـياء التدريس .

◘ مشايخه :

تلمّذ على يد الكثير من علماء الحوزة العلميّة ، وكان مـن أشـهر هـؤلاء الأعلام :

١ ـ الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري ، قرأ عليه كتاب كفاية الأُصـول في السطح العالي من الدراسة العلميّة في الحوزة ، ودرسَي الفقه والأُصول من الدراسة

العليا (البحث الخارج).

٢ ـ الحاج الشيخ أبو القاسم القمّي، وقد ترجم له العلّامة الأميني، وكان مشهوراً بالفضل والعلم.

عاصر كلّاً من: الشيخ عبد الكريم الحائري، والشيخ الآقا رضا الهمداني صاحب مصباح الفقيه، والشيخ الملّا كاظم الخراساني، وكان القمّي كثير العناية بالمترجَم (رحمه الله).

٣ ـ آية الله الصدر الذي درس عليه المكاسب المحرّمة للشيخ الأنصاري.

▣ تلامذته:

كان حصيلة عمره من التدريس في الحوزة العلميّة تخرّج عدّة من فضلاء الحوزة العلميّة على يديه، حيث كان كلّ واحد منهم علماً من الأعلام، وآية لله في الأنام، ومن هؤلاء المشايخ الّذين انتهت إلى بعضهم زعامة الحوزة العلميّة:

١ ـ الشيخ الشهيد مرتضى المطهّري.

٢ ـ آية الله الشيخ محمد فاضل اللنكراني.

٣ ـ الشيخ آية الله حسين علي المنتظري.

٤ ـ آية الله الشهيد السيّد مصطفى الخميني.

٥ ـ الشيخ الحاج علي المشكيني، وغيرهم.

حاز على درجة الاجتهاد في الخامسة والعشرين من عمره على يد الفقيه محمد تقي الخوانساري (قدّس سرّه) وهذا ينبىء عن استعداده وقوّة عارضه لتقبّل العلم، وإبداعه فيه.

▣ تأييده المطلق لقائد الأمّة :

كان (رحمه الله) متواضعاً ، شديد التأييد المطلق لقائد الأُمّة الإمام الخميني (قدّس سرّه) ناصراً للدين بيده ولسانه وقلبه ، يقول عن نفسه : عندما أردت إلقاء الدرس الخارج من الفقه علمت بأنّ وقت درسي يقارن وقت درس السيّد روح الله الخميني ، فعطّلت درسي احتراماً وإجلالاً للسيّد وتقوية لدرسه ، وبعد انتصار الثورة الاسلامية عندما كان يُعمل في المحاكم برأي السيّد روح الله وكنت أُدرّس خارج القضاء عطّلت درسي لئلّا تكون نتيجة البحث مخالفة لنظر السيّد الخميني فيؤدّي ذلك إلى الاختلاف أو تضعيف النظام الاسلامي المقدّس .

ولمّا رأيت إخلاص الحاجّ السيد روح الله وتفانيه في الله علمت أنّ الأئمّة الأطهار أنصاره وأعوانه ، وعلمت أنّ الله تعالى من ورائهم ناصره .

ويقول في وصفه لقائد الأُمّة الراحل : «إنّي لم أجد ومنذ تأسيس الحوزة العلميّة في قم وإلى يومنا هذا نظيراً للإمام ، وما ذلك إلّا بسبب تهذيبه لنفسه وتزكيته إيّاها» .

▣ نفوذ بصيرته :

كان رحمه الله نافذ البصيرة ، شديد التقوى ، عالماً بزمانه ، وقد نقل عنه الكثير في مجال تنبّئه وإخباره عن أحوال بعض الناس ، ونحن ننقل شذرات من ذلك الكثير :

١ـ علمه بأحوال عالم البرزخ :

ألف : كان يذهب وعلى عادته إلى زيارة القبور ، وفي ذات يوم لم يتوقّف لقراءة الفاتحة لذوي القبور ، بل استمرّ في طريقه إلى قبر وجلس عنده دقائق ، ثم

نهض ، فلمّا سأله أحد المرافقين له عن سبب ذلك ، قال : «كان صاحب القبر في عذاب شديد ، فقلت : نجلس علّه يخفّف عنه العذاب ، وكان الأمر كما أردنا» .

ب ـ حضر درسه رجل من الأتقياء وكان مقيّداً بحضور الدرس ، لكنّه كان ضعيف الحافظة لا يتقبّل العلم وبعد وفاته بمدّة دار حديث حول هذا الرجل المتّقي ، فقال السيّد بهاء الديني : «إنّ فلاناً صار يعلم في عالم البرزخ الكثير من المسائل العلميّة ، حتى انّه تكلّم بكلام لو قيل له في عالم الدنيا لما فهمه ، وقد تباحثت معه في موضوع من باب الطهارة فأقنعني وتبدّل رأيي» .

٢ ـ تهذيب النفس :

ألف : يقول أحد المقتدين بإمامته : كنت عصر ذات يوم مهموماً مشغول البال ، فلمّا اقترب وقت صلاة المغرب ذهبت إلى الصلاة ، وكنت في طول الصلاة مشغول البال لا أعلم ما أقول ، فلمّا فرغنا من الصلاة التفت إليّ السيّد وقال : «يا هذا ، إنّ هذه ليست بصلاة» فتحيّرت لمّا أخبرني بباطني ، وقلت : صدقت ، ادع لي الله بالتوفيق ، فقال : «عليك بإصلاح نفسك» .

ب ـ دخل عليه رجل كان معروفاً بالفضل بحسب الظاهر ، فلمّا أراد الخروج من عنده قال : أُريد أن تنصحني ، فقال له : «لا تشرك بالله ، فإن وُفّقت لذلك صلحت جميع أُمورك» فقال الرجل : ادع لي الله بالتوفيق . فقال : «كن إنساناً ليستجاب الدعاء في حقّك» ، فظنّ أحد الحاضرين أنّه لا يعرف الرجل ، فقال : سيّدي هذا فلان المعروف في البلد الفلاني ، وله المسؤوليّة الكذائية وقد صرف عمره في خدمة الناس ، فقال السيّد : إنّه لا بدّ أن يكون إنساناً ، فإنّ ما ترونه من الرجل أمر ظاهري ، وعليه أن يترك الهوى وأن لا يتأمّر على الآخرين عندها يذوق طعم الايمان» ، فلم تمض مدّة حتى علمنا بأنّه كان حسن الظاهر خبيث

السريرة ، وكان حاله كما وصف السيّد بهاء الديني .

٣ـ حبّه للخير وترغيبه فيه :

ألف : يقول أحد تلامذته (رحمه الله) كنت يوماً قادماً من التبليغ ومعي مبلغ من المال ، فصادفني أحد الأصدقاء فسألته عن أحواله ـ وكنت قد رأيت في وجهه البؤس ـ ، فقال : إنّي في مضيقة مالية ، فأعطيته ماكان معي من المال وتوجّهت إلى بيت السيّد بهاء الديني ، فلمّا أردت الانصراف قال لي : قف هنيئة ، وذهب إلى الدار وأعطاني مبلغاً من المال وقال لي : «نعم ما صنعت اليوم» فتشكّرت منه ، وأنا متعجّب ، فلمّا عددت المال وجدته بقدر ما أعطيته لصديقي لا يزيد ولا ينقص .

ب ـ دخل أحد تلامذته يوماً وكان شديد الفاقة ، فلمّا أراد الخروج سأله السيّد : هل يوجد في بلدكم باعة السمن الحيواني ؟ فقال التلميذ : نعم ، لكن كيفيّته غير مطلوبة ، فنادى ولده وقال : اعطه المبلغ الكذائي ليأتينا بالسمن ، فلمّا ذهبت عددت المبلغ فرأيته بقدر ما يفكّ حاجتي ، فعلمت أنّه كان قد استعمل غطاءً لصلته هذه ، لأنّي لا سابقة لي في شراء السمن لأحد .

٤ـ تواضعه وزهده :

كان رحمه الله يفرّ من الشهرة فرار الانسان من الأسد الحصور ، وكان يقول في ذلك : «إنّ من جملة الأسباب الّتي تعيق الانسان من التطوّر والسموّ المعنويّ هي حبّ الشهرة، وهي من علامات ضعف الايمان ، وهي السبب في الأزمات النفسية لدى الانسان .

طرحت مرجعيته مراراً بعد وفاة الإمام الخميني (قدّس سرّه) وبعد وفاة السيّد الگلبايگاني ، وبعد وفاة الشيخ الأراكي ، فكان في كلّ مرّة تعرض عليه المرجعية يقول : «يكفيكم الموجودون» وقال مرّة أُخرى : «أُوافق إذا كان ذلك

بأمرٍ من الإمام صاحب الزمان (عجّل الله فرجه)، لأنّي سوف أُواجه بعض المشاكل الّتي لا تنحلّ إلّا على يديه الكريمتين».

وقد جيء إليه يوماً بمقدار من المال ـ الحقوق الشرعيّة ـ ليوزّعها بين طلّاب العلوم الدينيّة، فرفض استلام المبلغ أو توزيعه باسمه، فقيل له أجيزوا لنا توزيعه، فقال: «حاولوا إيصال هذه الأموال إلى مستحقّيها الحقيقيّين، وحلّوا بها مشكلة المظلومين».

فقد كان (رحمه الله) في كلّ ذلك أُسوة حسنة، وقد انثملت بفقده حقّاً ثلمة في الإسلام، فسلام عليه يوم ولد، ويوم فارقت روحه الدنيا، ويوم يبعث حيّاً.

تصدير

الكتاب الذي بين يديك ـ أيّها القارىء العزيز ـ عبارة عن مـجموعة مـن دروس العارف الفقيه والعالم الأخلاقي الجليل الحاج السيّد رضا بهاء الديـني ، كان يلقيها في سنوات الدفاع المقدّس ليالي الجمعة على طلّاب العلوم الدينية ، فكانت تروي الغليل ، وتشفي الصدر العليل ، وتضيىء درب عشّاق العلوم الإلهية والخِلع الربّانية ، حيث كان عذب البيان ، حسن السيرة ، نـافذ البـصيرة ، وكـان مجلسه على اختصاره وإيجاز بيانه يفتح أبواب السماء بالرحمة والعطاء .

يقف القارىء الكريم من خلال طيّبات حديث هذا السفر الجليل على حقيقة هذا العالم الجليل الذي استلهم من الكتاب العزيز ومـن كـلام أربـاب العـصمة والطهارة عليهم السلام الدروس والعبر ، فصار ينهل من تلك العلوم ويستمد العون من هذا البحر المعطاء ، حتى ارتقى بتلك المفاهيم السامية نحو الكمال ، وأخـذ يطبق العلم النظري ويمزجه بالجدّ والعمل من أجل رقي مدارج القدس والعـزّة والكمال .

استنسخنا بعض هذه الدروس من المسودّات ، والبعض الآخر نقلناه مـن الشريط ـ الكاسيت ـ مع التحفّظ على متون العبائر الواردة على لسانه الشريف ، مراعاة لحرمة كلامه وإن اختصرنا الكثير الذي تكرر في أكثر من موضع .

وفي الختام نأسف لِما لم يصلنا من كلامه ونغتبط بهذا النزر اليسير ، آملين أن تفتح هذه الكلمات أقفال القلوب ، وتزيل عنها الرين ، وينزل بـبركتها غـيث الرحمة لينهل من فيضه العشّاق ، ويروي ضمأ المؤمن المشتاق .



﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمين﴾[1]

حقيقة الربوبيّة

الحمد لله على حقّ ربوبيّته ، والحمد لله على جميل صنعه ، والحمد لله والحمد حقّه ، والصلاة والسلام على أفضل رسله وأنجب خلقه في بريّته محمد وآله الميامين صلوات الله عليهم أجمعين .

الربوبيّة : هي القيّوميّة لله تعالى على خلقه ، بمعنى افتقار كلّ موجود إليه ، وقوام كلّ شيء به .

وهذا الافتقار محيط بجوانب الكائنات ، فافتقارها إليه افتقار صرف وربط محض .

والانسان من حين كونه تراباً ثم نطفة إلى حين نيله لمقام الخلافة يتقلّب في ظلّ ربوبيّته تعالى ، وهكذا موجودات هذا العالم من الشمس والقمر والرياح والنبات والحيوان وكلّ شيء ، فالكلّ في حركة إلى الله ونحو الكمال المطلق .

فالطبيعي كالحيوان يكون كماله طبيعياً ومادياً ، والذي يكون وجوده مادياً

(١) الفاتحة : ٢ .

ومعنوياً كالانسان فكماله يكون من هاتين الجنبتين.

لقد وهب الله تعالى الانسان عقلاً يكون سبباً في تحرره من قيود المادة والنفس الأمارة ويهيّيء له أسباب العروج نحو النور المطلق.

لقد ابتليت البشرية بما يبعدها عن العقل والاستضاءة بنوره، إذ اتبعت في تحقيق مقاصدها النفس والهوى، والذي يقف أمام مشتهيات تلك النفس ويمنع من تأجيج نيران الفتنة والحروب هو العقل المتكامل والنفس المهذّبة بتهذيب الله تعالى والمؤدّبة بأدب النبي صلّى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام لكونهم سنام الكمال وقمّة الأخلاق.

* * *

رجال التهذيب والأدب الإلهي

يمتاز رجال التهذيب المؤدّبون بأدب الله ـ بواسطة العقل ـ والمطهّرون من جميع الأدناس الباطنيّة، بمناعة الطبع وعدم الركون إلى مشتهيات النفس، فهم لا يقربون القبائح والمآثم بحال.

إنّ بإمكان الانسان الوصول إلى مقام رفيع وحصن منيع فيما إذا كان حاكماً ومتصرفاً في هواه، فإن نال ذلك المقام صار روحانياً يستطيع أن يتصرّف في الكون بحيث يبطل مفعول جميع الأسباب الطبيعية والعلل الماديّة عن التأثير في معلولاتها، فيكون هو الحاكم والطبيعة هي المحكوم المنقاد لأمره.

انّ الانسان إذا نسى الله تعالى ضلّ ضلالاً بعيداً، فتجده يطرق أبواباً غير أبواب رحمة الله، وذلك لا ينمّ إلّا عن جهل الانسان المطلق.

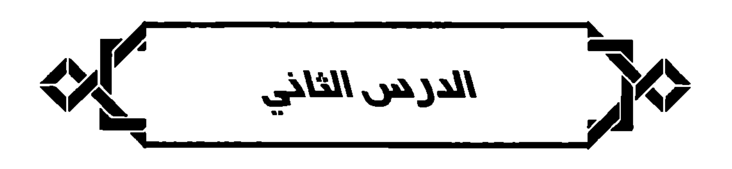
* * *

النزاع في مقام الربوبيّة

يتمثّل النزاع المرّ بين الأنبياء عليهم السلام والطواغيت في مسألة الربوبيّة وتوحيد الخالق، فالأنبياء ـ الذين هم وسائط الفيض ـ يقولون بأن الربوبية على الإطلاق لله ربّ العالمين دون سواه، وأنه هو المدبّر للعالم الحاكم على الطبيعة، والطواغيت ـ أمثال فرعون الذي يقول: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ**﴾[1]، يريدون أن يحكموا العالم، ويدّعون أنّ البلاد والعباد في قبضتهم، وهذا الصراع عبارة أُخرى عن الخلاف بين الفكر الإلهي والفكر المادّي.

❊ ❊ ❊

(١) النازعات: ٢٤.



﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[1]

الرحمة الإلهيّة

إنّ من آية رحمته تعالى ما وهبه لخلقه من علم وحياة وقدرة ولم تختص رحمته بالانسان فحسب بل شملت حتى النباتات والحيوانات ، وقد وهب كلّ ذلك من دون استحقاق لأحد من الخلق عليه .

وما يشاهد في بعض الأدعية من أنّ للعباد ـ عليه تعالى ـ حقّاً ، فهو الذي أوجبه على نفسه تفضّلاً منه ورحمة .

* * *

النعمة العظمى

تعتبر نعمة الولاية وتولّي ولاة الحقّ من الأئمة المعصومين عليهم السلام من أفضل النعم التي أنعم بها الله على عباده، وهي النعمة التي توعّد تعالى

(١) الفاتحة : ٣.

بالسؤال الحثيث عنها بقوله : ﴿ثُمَّ لَتُسئلُنّ يومَئذٍ عَنِ النَعِيمِ﴾[1].

والسؤال عن هذه النعمة سؤال عن أداء حقّها بتولي ولاة الحقّ ، وهذا ما أكّد عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله في أكثر من موضع وواقعة ، من أن المسك بزمام الأمور لا بدّ أن يكون بيد رجل إلهيّ قادر على إجراء أحكام السماء مثل علي بن أبي طالب عليه السلام فإنّ جميع ما أصاب المسلمون من مصائب ونكبات منذ الصدر الأول وإلى يومنا هذا هو من عواقب عدم مسك الرجل الإلهي بزمام أُمور المسلمين .

إنّ هذه النعمة تُوجد في النفس اطمئناناً خاصاً ، ولذا فالولاية لا تقل أهمية عن الصلاة ، ولم يكن الغرض من ايصاء رسول الله صلّى الله عليه وآله بإتّباع أهل البيت عليهم السلام رعاية مصلحة أهل بيته فيوصي بهم خيراً ، بل الغرض من ذلك رعاية مصلحة المجتمع .

* * *

ضرورة نصرة الولاية

بعدما ثبت من كون الولاية من النعم الإلهية التي منَّ الله بها على خلقه لابدّ من تقوية أُصولها وإقامة حكومة العدل الإلهي ، وسدّ الطريق بذلك على الشيطان وأتباعه من قوى الشرق والغرب ، وتمهيد الأرضية للمصلح الأعظم الذي لا بدّ من ظهوره ولو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد ، ليقيم العدل ويرفع عن البشرية قيود العبودية لغير الله ، وما ذلك اليوم ببعيد ، ولا هو على الله بعزيز ، إنّه لا بدّ من اعلان التأييد المطلق للولاية لتكون قوّة ضاربة تطيح

(١) التكاثر : ٨.

بصرح البنيان الشيطاني ، وهذا ما سعى رسول الله صلّى الله عـليه وآله والأئـمة الأطهار لتحقيقه ، لكن لم يدرك المجتمع وقـتئذٍ أهـمية هـذا التـخطيط الإلهـي للجهل المطبق وحداثة العهد بالاسلام وعناد وعداء البعض الذي صار حـاجزاً بوجه تحقيق ما أراده النبي ، ولذا صار العلم والمعرفة المـنشأ فـي كـلّ سـعادة وكمال ، فلا بدّ من الانطلاق من هذا المبدأ في السير إلى الله وتـحقيق حكـومة العدل الإلهي في المجتمع .

❊ ❊ ❊



﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[1]

المالكيّة الحقيقيّة

إنّ الله تعالى هو المالك الحقّ ليوم المعاد والحساب، والإنسان رهين عمله في ذلك اليوم[2]، أي أنه يملك عمله ملكاً حقيقياً، وإن كانت ملكيّته في دار الدنيا ملكية اعتبارية.

* * *

التوحيد غاية الأنبياء

إنّ الغاية التي من أجلها بعث الأنبياء هي دعوة البشريّة إلى التوحيد الذي فيه التكامل وترشيد العقول.

لقد خلق الله الطبيعة بما فيها من شمس وقمر، وليل ونهار، ونور وماء وتراب وكلّ شيء من أجل أن يتكامل الانسان ويرقى سلّم الكمال الذي من

(١) الفاتحة: ٤.

(٢) ورد في الحديث الشريف أن اليوم يوم عمل لا حساب فيه، وغداً يوم حساب لا عمل فيه.

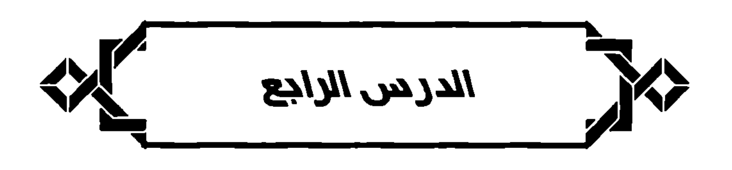
أجلى مصاديقه إقامة دولة الحقّ بقيادة رجل ربّاني يسوق البشريّة نحو الكمال ، ولا بدّ أن تكون الطبيعة بما فيها من كائنات في خدمة هذا الرجل الإلهي ليتمكّن من الدعوة إلى التوحيد .

* * *

النظام الإلهي

انّ النظام الإلهي نظام متكامل روعيت فيه حقوق حتى الحيوان والنبات ، ولا ينال منه هذا النظام عاقل ولا يترك نصرته انسان متكامل ، فهؤلاء خواص أمير المؤمنين عليه السلام لم يتبرؤا من مولى الموالي عند تعرّضهم لأنواع الضغوط والتهديدات من معاوية ، ولم يستسلموا للباطل بل شروا الجنة بأنفسهم ، واستشهدوا في طريق العقيدة ونصرة دولة الحق .

* * *



﴿إيّاك نَعْبُدُ وإيّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]

آثار العبوديّة والطاعة

لكلّ من عبودية الله تعالى وعبودية الشيطان آثار تنعكس على نفس الانسان ، فمن آثار العبودية لله تصرّف أولياء الله تعالى في الكون ، ذلك انّ من له صلة وثيقة بالله يكون كلّ شيء تحت ارادته وفي قبضته . ومن آثار عبودية الشيطان تأجيج نيران الفتن والحروب وسوق البشرية نحو الانحطاط والفساد ، وهذا ما تتّصف به القوى العظمى التي تحمل روح العداء للشعوب ، ولا فرق بين كلّ من يتّصف بهذه الروح الشيطانية وبين القوى العظمى سوى أن دائرة الظلم والاعتداء لدى تلك القوى أوسع نطاقاً من دائرة ظلم الأشخاص المتّصفين بتلك الصفات .

* * *

(١) الفاتحة : ٥.

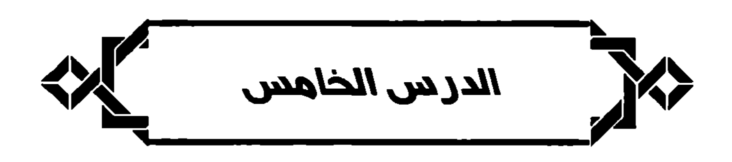
العبودية جوهرة

ورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال: «العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة»[1].

إنّ أكبر همّ الانسان الكامل هو العبودية لله وتحصيل الكمال بنور العلم والمعرفة، بخلاف همّ الحيوان الذي يكون في علفه، فإنه بالمعرفة يصل الانسان إلى الكمال المطلق، وبالعبودية يتصرّف في الكون، فهذا علي عليه السلام ردّت له الشمس، وموسى انفلق البحر بعصاه، وعيسى أحيى الموتى بإذن الله، وإلى ما سوى ذلك من آثار.

* * *

(١) ميزان الحكمة ٦: ١٣.



﴿إيّاك نَعْبُدُ وإيّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]

المعبود المطّلق

نقرّ لك اللّهمّ بالعبودية وحدك لا شريك لك ، لأنّك القادر ، الحكيم ، الرؤوف ، النور ، فإن عجزت أبصارنا عن إدراك نورك فاشهد بأنّا عبادك .

والذي يمنع عن ادراك هذا الوجود النوري المطلق ما في النفس الأمارة من موانع وحجب ، قال تعالى : **﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أبْصارِهِمِ غِشاوَةٌ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِمٌ﴾**[2].

* * *

الحجب النفسانيّة

تمنع حجب النفس من سماع نداء الحقّ تعالى ورؤيته ، ومن إدراك الحقائق الإلهيّة والالتذاذ بها ما دام الإنسان في حصار هذه الحجب ، ولذا لا بدّ

---

(١) الفاتحة : ٥.

(٢) البقرة : ٧.

من إزالتها جميعاً . فإنّ للأُذن والعين حجباً لو ازيلت لرأى الانسان وسمع نـداء ربّه .

فعلى الانسان أن يقوي علاقته بالنبي والأولياء عليهم السلام والصـلحاء الذين رأوا ربّهم بأبصار القلوب ، فصاروا من حجب النور الإلهي ، قد تجلّى نور ربّهم في قلوبهم بفضل العبودية ، فصاروا آباء البشر ومؤدّبوهم «يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأُمّة» .

* * *

حكومة الله وحكومة الشيطان

الله تعالى هو الحاكم على الاطلاق ، والشيطان حاكم على قلوب اتـباعه لأنهم أسلموا نفوسهم وأزمة أُمورهم إليه ، فإن صار أحدهم غنيّاً أحرق الدنيا بما فيها ، وإن صار عالماً سخّر ذلك في خدمة الأغراض الشيطانية .

وأما عباد الله الصالحين فهم أساس العمران وعـلى يـدهم تـصلح أُمـور المجتمع ، فإن أتى الله أحدهم بسطة في المال والعلم سخّر ما آتاه الله مـن مـال وعلم ومقام في إصلاح العالم وإطفاء نيران الفتن وصار مصداقاً لحكومة العـدل الإلهي .

إنّ ما يصلح العالم هو العقل المتكامل الذي ينفر منه الشيطان ، وهو يحصل في فناء العبوديّة للحقّ تعالى ، فإنه بالعقل تطفأ النـيران التـي يـؤجّجها أذنـاب الشيطان من القوى الكبرى .



الدرس السادس

﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَروا سَواءٌ عَلَيْهِم ءَأنْذَرتَهُم أمْ لَمْ تُنذِرهُم لا يُؤمِنونَ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم وعَلَى سَمْعِهِم وَعَلَى أبصارِهِم غِشاوَةٌ وَلَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

الغشاوة

تغشى قلوب الكافرين غشاوة تمنع من إدراك الحقائق، وهي تارة تكون على قلوبهم وأُخرى على سمعهم وثالثة على أبصارهم، وتزول هذه الغشاوة بمجرّد تزكية النفوس.

وقال تعالى فيما يتعلّق بحُجب المنافقين: **﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُم لَا يَرجِعُونَ﴾**[2] والتعبير بالصمّ والبكم والعمي أوسع وأعمّ من التعبير بالغشاوة، فالمانع من تكامل المنافقين هو فقدهم لحاسّة السمع والبصر المعنويين، وفي الكفّار الغشاوة على القلب والسمع والبصر.

* * *

منشأ الطاعة والمعصية

ما هي حقيقة الختم في قوله تعالى: **﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم﴾** الذي ختم به

---

(١) البقرة: ٦ و ٧.

(٢) البقرة: ٨.

قلوب الكفار ؟ وما هي النسبة بينه تعالى وبين فعل العبد للطاعة أو المعصية ؟ وهل فعل الطاعة أو المعصية داخلان في دائرة حكومته تعالى ؟

انّ الختم وان أسنده تعالى إلى نفسه في قوله : ﴿خَتَمَ اللهُ﴾ إلّا أنّه وكذا الغشاوة في قوله : ﴿وَعَلَى أبْصارِهم﴾ معلولان للنفس الحيوانيّة ، وحيث أنهما غير خارجين عن دائرة حكومته تعالى كانت نسبة الختم والغشاوة إليه .

تتفاوت نسبة الأفعال من طاعات ومعاصي إلى الله تعالى ، لأن تمام العلّة[١] في المعصية هي النفس التي لا تقيّدها القيود ولا تحدّها الأوامر والنواهي الشرعية ، فمبدأ الطاعة إما الهداية الإلهية ـ لقوله تعالى : ﴿مَا أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَفْسِكَ...﴾[٢] ـ وإما العامل الوراثي كما ورد في الزيارة المعروفة : «أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة» فنسبة الطاعة والمعصية وما يترتّب عليهما إلى الباري تعالى ليست فيهما على حدٍّ سواء .

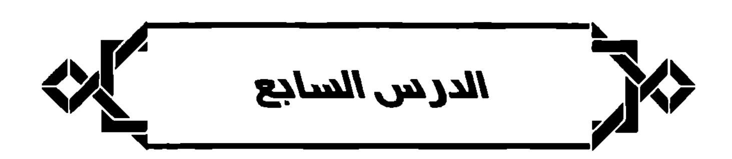
ثم إنّ جميع أفعال الانسان من طاعة أو معصية غير خارجة عن دائرة ارادة الله تعالى وقدرته ، فهل لفعل الطاعة ارتباط به تعالى دون فعل المعصية ، أو كلاهما متساويان في نسبة الارتباط به تعالى ؟

ينبغي القول بأن للمعصية مقدّمات كالشوق والإرادة ، ويختلف ذلك الشوق وتلك الإرادة من شخص لآخر حسب ما تقتضيه النفس الحيوانية ، فإن ميل الانسان إلى الماديات والمشتهيات النفسية نظير ميله ورغبته إلى شرب الماء ، فإنه مضافاً إلى تحقق إرادة ورغبة الانسان لشرب الماء يجد الانسان في نفسه ميلاً بحسب طبعه إلى ذلك ، وللنفس في جميع ذلك دور العلّة التامة .

* * *

---

(١) تتكوّن هذه العلّة من جزءين ، الأوّل : النفس الحيوانيّة ، والثاني : الارادة الإلهيّة .
(٢) النساء : ٧٩.



﴿الّذي جَعَلَ لَكُم الأرضَ فِراشاً والسماءَ بِناءً وأنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمراتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أنداداً وَأنْتُم تَعْلَمُونَ﴾(١).

الغيث، آية من آيات الله

من آياته تعالى أنّه أنزل من السماء ماءً تتجدّد به حياة المخلوقات جميعاً، وتُسقى به الأرض، وتجري به الأنهار.

يتوجّه الناس في سنين القحط والجفاف إلى ساحة الرحمة الإلهيّة في صلاة الاستسقاء(٢) لطلب الغيث فتجود السماء في كثير من الأحيان بالماء، فما هذه العلاقة بين الصلاة ونزول المطر ؟

حيث أن الصلاة منشأ القرب الإلهي تكون العلاقة بين نزول المطر والصلاة نظير علاقة النار والحرارة في شدّة التلازم بينهما.

إنّ نزول المطر معلول لجملة من العلل منها تسخير الشمس والقمر اللّذان

---

(١) البقرة : ٢٢.

(٢) صلاة الاستسقاء من العبادات الدينية التي يفرّق فيها بين الأطفال وأُمهاتهم ويُفعل ذلك في الحيوانات أيضاً.

يتسبب عنهما الليل والنهار والفصول الأربعة ، فهل بإمكان الانسان أن يسخر ذلك من أجل خدمته ؟

إنّ الانسان عاجز عن التدخّل في كل ما يرتبط بالحركة الكونيّة ، فهو لا يستطيع أن يرجع بالشمس بعد غروبها ، لأن ذلك من شؤونه تعالى ، فهو الذي أوجد فيها هذا النظم طبقاً لحكمته .

فالحاجة إلى نزول الأمطار قد يكون داعياً إلى طرق باب الرحمة الإلهيّة .

* * *

منشأ الفساد

كما تكون العبادة والطاعة منشأ في نزول الرحمة والبركات كذلك الفساد والمعاصي التي يمارسها النوع البشري هي منشأً للعذاب والسخط الإلهي ، والمنشأ في تلك المفاسد جميعاً هو الانسان .

* * *

أشرف المخلوقات

إنّ الانسان أفضل وأشرف الموجودات ، فهو خليفة الله في أرضه الذي به يُغاث أهل الأرض وتنزل الرحمة الإلهية .

والمصداق الأمثل لأشرف الكائنات هو النبي صلّى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام الذين جاء وصفهم في الزيارة الجامعة : «**بكم فتح الله ، وبكم يختم ، وبكم يُنزِّل الغيث ...**» ، فهؤلاء هم رحمة للعالمين ، وهم كفلاء البشريّة ، إلّا أنّ الإنسان بجهله لا يتبع سبيل المؤمنين .

فإنّه من الحمق أن يتّبع الانسان شخصاً أو جماعة تتعرّض بسببهم ثقافته ودينه واقتصاده إلى الخطر لصرف كون الدنيا في أيديهم .

* * *

الخزائن الإلهيّة

قال تعالى : ﴿فأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمراتِ رِزْقاً لَكُم﴾ ، لا تنفذ خزائن الرحمة الإلهيّة من كثرة العطاء ، فالانسان مهما أراد الانتفاع من خيرات وبركات الأرض وما فيها لا يمكن نفاذ تلك البركات ، وأنه ما دام لذلك منشأ يمدّه بالعطاء لم يكن للحسابات الماديّة بنفاد تلك الخيرات معنى ، وتكون هذه الحسابات جميعاً حسابات خاطئة ، نعم لو لم يكن لذلك منشأ تصدر منه تلك الفيوضات لكان لكلام الخبراء وحساباتهم الماديّة معنى .

* * *

آيات الرحمة الإلهيّة

إن من آياته أن ﴿جَعَلَ الأرضَ فِراشاً﴾ ، فإنه لا يستطيع أحد غير الله تعالى أن يجعل الأرض كذلك ، وأن يعطيها هذا النظم الخاصّ الذي يربطها بالشمس وبسائر الأفلاك ، فلا بدّ للانسان من الاعتقاد بأنّ للعالم مبدأً ، والاعتقاد بأن هناك عالماً يسمّى بعالم ما وراء الطبيعة .

ثم إنّ لما كانت جميع أفعاله تعالى وفق الحكمة والمصلحة العائدة لنفس المخلوقات ـ بأن جعل الأرض فراشاً ورفع السماء بلا عمد وأنزل من السماء ماءً تخرج به الثمرات ـ فلماذا يجعل الانسان لله أنداداً ؟ والثمرات في الآية لا

تختص بما تعطيه الأشجار والنباتات بل تعمّ كل ما تخرجه الأرض .

* * *

درجات إدراك القرآن

لعلّ في ما قيل من أنّ للقرآن «سبعة بطون» أو «سبعين بطناً» إشارة إلى تفاوت ادراك ومراتب فهم الناس للقرآن كلّ بحسب أفقه ووعائه .

فكلّما رقى الانسان سلم الكمال من تحصيل العلم والمعرفة أكثر كان حظّه من الكتاب العزيز هو الأوفر ، ومن هنا لم يكن ما عند أهل البيت عليهم السلام من علم الكتاب عند من سواهم من الناس ، فكم ألّف علماء المسلمين من العامّة والخاصّة في علوم القرآن من الاعجاز والبلاغة والتفسير لكن كل ذلك ليس من علم أهل ا لبيت إلّا كالقطرة في البحر الطامي ، وهذا معنى اقترانهم بالقرآن الوارد في قوله صلّى الله عليه وآله : «**لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض**» .

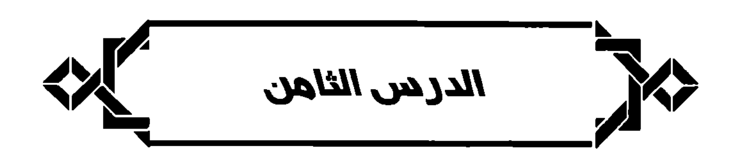
* * *

طريق الكمال

دعا القرآن والاسلام جميع الناس إلى الحركة التكامليّة ورقـي درجـات المعرفة ، وحذرهم من الشيطان وما يوسوسه للانسان من اللـذائـذ والشـهوات وحب الجاه والمقام ، فان استطعتم أن تحذوا حذو الأنبياء فافعلوا فإنّ سلوك هذا الطريق لا يختص بهم ، ولا يغرّكم ما يطبّل به الاستعمار لفلان وفـلان أنـه مـن أعرف العرفاء وأعلم العلماء ، فإن ذلك لا يجعله عالماً ما لم يزكّه الله ، فهو الذي يهب العلم لمن يشاء .

فإن عجزتم أن يكون لكم ما للأنبياء من الإحياء والإماتة والتصرّف في الكون فكونوا عباداً صالحين بترك المحرمات والقبائح من الأفعال وفعل الواجبات ، فإن الانسان بإمكانه ذلك فيما إذا ترك الغيبة والبهتان والكذب والتآمر على الآخرين لإيقاعهم في الفخ ، واعلموا أن حياكة المؤمرات ليست من مختصّات الاستعمار بل المسلمون أيضاً يحيك المؤمرات بعضهم لبعض ، وفّقكم الله جميعاً ، وعرّفنا وإياكم طريق الاتصال به تعالى ، فإن الكمال كل الكمال في معرفته تعالى .

* * *



﴿وَإِنْ كُنْتُم في رَيْبٍ مِمّا نَزَّلنا عَلَى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدائِكُمْ مِنْ دوُنِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ (١)

التحدّي في القرآن

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تحكي تحدّي القرآن وتعجيزه لكلّ من استخفّ بوزنه ، أو قال بأنّ النبيّ قد جاء به من عند نفسه ، ومن تلكم الآيات قوله تعالى : **﴿قُل لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ عَلَى أنْ يأتُوا بِمثْلِ هذا القُرآنِ لا يأْتُونَ بِمثْلِهِ وَلَو كانَ بَعْضَهُم لِبَعْضٍ ظَهيراً﴾** (٢) ، وقوله تعالى : **﴿وَإنْ كُنْتُم في رَيْبٍ مِمّا نَزَّلنا عَلَى عَبْدِنا فَأتُوا...﴾** (٣).

إنّ الآية التي هي مورد البحث في مقام تعجيز البشر خاصّة ، دون الجنّ والملائكة وغيرهم ، وذلك بأن يأتوا بسورة من مثله .

* * *

(١) البقرة : ٢٣.
(٢) الاسراء : ٨٨.
(٣) البقرة : ٢٣.

البلاغة في القرآن

إنّ سبل الاعجاز في القرآن الكريم كثيرة ينهل منها النـاس كـلّ بـحسب ادراكه الخاص ، فالاعجاز عند البعض منحصر في بلاغة القرآن ، وأنّه في قـمّة الفصاحة والبلاغة ، ويؤيّد ذلك ما ينقل من انّ اجتماع جماعة من فصحاء العرب لمّا وصلوا إلى قوله تعالى : ﴿يَا أرضُ ابْلَعِي مـاءَكِ﴾[1] قالوا : لقد عـجزنا عـن الاتيان بمثله .

* * *

فهم الكتاب العزيز

يستحيل فهم الكتاب العزيز من دون تكامل وتـزكية النـفوس وحـصول ملكة التقوى واحراز الايمان الحقيقي ، فالذي يريد التعرّف على مـعاني القـرآن الكريم لا بدّ له من كل ذلك ، ففي حوار للإمام الصادق عليه السلام مع أبي حنيفة أنه قال له : «ما ورَّثك الله من كتابه حرفاً»[2] ، ولا يريد الإمام أن يتّهم أبا حنيفة بعدم فهم الكتاب بل يريد أن يقول : لا تفهم كتاب الله فهماً حـقيقيّاً مـا لم يكـن سيرك نحو الكمال ، فإنّ قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرزُقْهُ مِن حَيثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[3] وكذا قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾[4] هما من قبيل القضايا الشرطيّة ، فمن كان متّقياً رزقه الله من حيث لا يحتسب علماً وفهماً وكلّ شيء ، ولا اختصاص للرزق بما

---

(١) هود : ٤٤ . تتعلّق هذه الآية بقصّة الطوفان الذي أخذ بأرجاء الأرض حينما جاء الخطاب ببلع الماء ، والبلع هنا يتناسب مع سعة الأرض وحجمها .

(٢) بحار الأنوار ٢ : ٢٩٣ .

(٣) الطلاق : ٢ و ٣ .

(٤) العنكبوت : ٦٩ .

لا يُحتسب بخصوص التقوى ، بل تشمل قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ و ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينا﴾ أيضاً .

❊ ❊ ❊

الاختلاف المبنائي

قد يختلف العلماء في تفسير بعض ألفاظ القرآن الكريم ، فإنّ هذا الاختلاف مبنائي فالفقيه يفسّر لفظ الطهارة الوراد في القرآن الكريم في كثير من الآيات بالنظافة من الحدث والخبث ، وعلماء الأخلاق يفسّرونها بالنزاهة من الأقذار المعنوية كالحسد والكبر وأمثالهما ، وكذا في لفظ النعمة فإنه عند العامّة بمعنى المأكولات والمشروبات وما شابه ذلك ، وعند الخاصة بمعنى الولاية التي هي من أعظم نعم الله تعالى[١] ، والجميع صحيح لكنه يحتمل وجوه ، ويحمل كلّ صنف من العلماء الوجه الذي يلائم مبناه على ذلك اللفظ .

❊ ❊ ❊

نداء التهذيب

مدينة قم المقدّسة مضافاً إلى حاجتها لدراسة العلوم الإلهيّة هي بحاجة إلى تقوى طلبة تلك العلوم وتهذيب نفوسهم ، فإن العالم العامل لا يعبأ بنداء الغرب ولا يتأثر بثقافتهم أبداً .

استعينوا بأهل البيت الأطهار عليهم السلام ، وعليكم بالدعاء والمناجاة والعمل الصالح فإن ذلك يساعدكم على رقي درجات الكمال ، ولا يكن أكبر همّكم الدنيا ، أسأل الله لكم التعرّف على الطريق الإلهي .

---

(١) هذه النعمة يسأل عنها الله سؤالاً حثيثاً ، وهي المراد في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَومَئِذٍ عَنِ النَعيمِ﴾ ، التكاثر : ٨.



﴿وَإنْ كُنْتُم في رَيْبٍ مِمّا نَزَّلنا عَلَى عَبْدِنا فَأتُوا بِسورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدائِكُمْ مِنْ دوُنِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ﴾(1)

كيفيّة إدراك المعارف

إنّ فهم معاجز القرآن وآياته ، وفهم معارف الاسلام ؛ من الايمان والمبدأ والمعاد والتصديق بالرسالة لايتيسّر إلّا عن طريق السير إلى الله ، والسير في طريق الأنبياء والأولياء عليهم السلام والصلحاء ، فإن أراد أحد أن يكون نصيبه في ذلك الأوفر فعليه بالتقوى والسير في طريق الأنبياء ، وعليه بترك الرذائل النفسيّة ، والتخلّق بصفات الانسان الكامل ؛ كالعلم والعدالة والعفّة .

أنّ جميع مشاكل المسلمين نابعة من جهلهم بالعلوم والمعارف الإلهيّة ، وبخصوصيّات كتابهم السماوي ، وعدم اقتدائهم بسيرة نبيّهم الكريم صلوات الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى ، لكون جميع أفعاله قائمة على أساس العقل والعبوديّة الصادقة لله تعالى ، فهو الذي قال الله في حقّه : **﴿وَالنّجمِ إذا هَوَىٰ مَا**

---

(1) البقرة : ٢٣ .

ضَلَّ صاحِبُكُم وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى﴾[1].

* * *

دعوة إلى البلدان الاسلاميّة

إن ممّا يـرزي له الوضع الراهن الّذي يعيشه المسلمون على كثرتهم ، إذ لا يملكون لأنفسهم استقلالاً ولا ثقافة أو اقتصاداً ، والسرّ في ذلك هو عدم سلوكهم طريق الحق تعالى وطريق الأنبياء عليهم السلام ، فهم يجهلون الاسلام الصحيح لأنهم لو كانوا على معرفة منه لما كان وضعهم كذلك ، ولفـرّت القـوى العـظمى منهم .

إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله الّذي نادى المسلمين بلسان الوحي قائلاً : **﴿يا أيُّها الّـذينَ آمَـنُوا لَا تَـتَّخِذوا اليَـهُودَ والنَّـصارى أوليـاءَ﴾** هـو مـجهول لدى المسلمين اليوم .

إنّ على المسلمين أن لا يركنوا إلى القوى العظمى ، وأن يكونوا على حذر ، فإنّ هدف هذه القوى هو افتراس الشعوب ونهب ثرواتـها وتـخريب اقـتصادها ومصادرة ثقافتها .

* * *

سبيل النجاة

يتمثّل سبيل الخلاص في التمسّك بكتاب الله والعمل به في شتّى ميادين الحياة : العباديّة ، السياسيّة ، الاقتصاديّة .

---

(١) النجم : ١ ـ ٤ .

انّ البعض يكتسب المال الحرام ويملىء بطنه منه ثم يدعو الله تعالى بتعجيل الفرج لصاحب الأمر (عجّل الله فرجه)، والحقّ انّا نجهل الامام الغائب عليه السلام، لأنّنا في شغل عنه، إذ نحن في صدد تنفيذ مخطّطات القوى الكبرى المعادية للاسلام والمسلمين.

والحاصل: فإنّ السبيل والهدف واضحان، وهما ينتظران من يشمّر عن ساعد الهمّة ويسلك سبيل الأنبياء.

انّ المسلم الحقيقي هو الذي لا يبرر فعل المنكر، والذي لا يكون أسوء حالاً من الكفّار، فهو لا يبيع دنياه بثمن زهيد، ويحاسب نفسه عندما يختلي بها، ويحاول اجتناب عثرات غيره فإن في قوم عاد وثمود وفرعون عبرة لمن اعتبر.

يودّ الاسلام في أن يكون المسلم واعياً بصيراً بزمانه، وعلى المسلم أن يطلب العلم ليكون متكاملاً به، ولا يظنّ أحد أن الاسلام ناقص وأنه لا بدّ من استبداله بحضارة الغرب، كلّا، إنّ الاسلام دين متكامل من جميع الجهات لا تلحقه ثقافة الشرق والغرب مهما بلغت، فكلمة الاسلام هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

* * *

إنكار الذات

على المسلم أن لا يغتر بما لديه من مقام وألقاب، فما ينفع المرء لو قيل له أنه عالم ورع وأنه على درجة عالية من التقوى وهو يعلم من نفسه خلاف ذلك؟

فلينظر المرء مدى تخلّقه باخلاق الاسلام، وانكاره للمنكر وتركه للكذب والغيبة والافتراء، وليعلم انه لا سبيل له سوى اصلاح نفسه بالعبادة والطاعة لله تعالى.

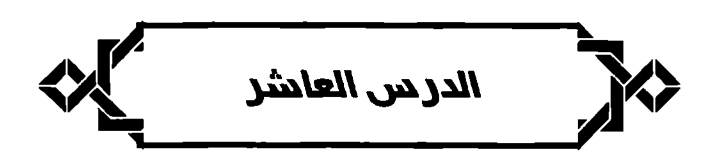
* * *

الحاجة إلى القرآن

إذا استغنى الانسان عن كلّ شيء فإنه لا يمكن أن يستغني عن القرآن الكريم، لأنّه كتاب التربية والتهذيب وبناء الانسان المتكامل، فلو اغتنم المسلمون الوجود النوري للقرآن وعملوا به لأقفلت القوى العظمى وعادت من حيث جاءت، إلّا أن هذه القوى استطاعت اغفالنا وإلهائنا بسفاسف الأُمور ونهبوا ثروات بلادنا، وصاروا يصقعونا على رؤوسنا، نبّهنا الله من نومة الغافلين.

إننا جميعاً بحاجة إلى هداية إلهية، وكذلك الأنبياء عليهم السلام فهم بحاجة إلى هداية السماء، أصلح الله حالنا بظهور صاحب الأمر عليه السلام الذي بظهوره يمحق الكفر والنفاق والفساد، وجعلنا الله من الموطّئين لظهوره، آمين.

* * *



﴿وَإنْ كُنْتُم في رَيْبٍ مِمّا نَزَّلنا عَلَى عَبْدِنا فَأتُوا بِسورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدائِكُمْ مِنْ دوُنِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ﴾(١)

القرآن كتاب الله تعالى

ان القرآن وجود نوري تحتاج معرفته إلى تزكية للنفس ، فالانسان الكامل الذي يحصل له الأُنس بالقرآن هو الجامع لفضائل الاخلاق المجتنب عن رذائلها ، وهذا ما تقتضيه الفطرة السليمة .

لو تجرّد الانسان من الهوى لتمكّن من معرفة القرآن وتعرّف على أحكام الاسلام ومعارفه ، ولاستطاع مواجهة القوى الكبرى ولصار مصداقاً للمؤمن الذي تزول الجبال ولا يزول .

إن سبب ميل جماعة من الناس إلى الشرق واُخرى إلى الغرب هو جهلهم بالله تعالى إذ لو عرفوه حقّ معرفته وقدّروه حقّ قدره لما استبدلوه بمن سواه ولما لجأوا إلى غيره .

قد يلتفت الانسان إلى نفسه ويكون قد فات الأوان فإذا به يفتح عينه بعد

---

(١) البقرة : ٢٣ .

عمر من الثمانين فيجد نفسه في الظلمة المحضة، حيث كان قد قضى عمره في المكر والخداع وترويج الفكر الشيطاني.

* * *

آخر الدواء الكي

إن آخر ما يمكن العلاج به هو القرآن الكريم الذي بإغتنامه يفتح طريق الكمال أمام الانسان، فإن الذرّة لا تصنع للانسان شيئاً فحسب بل تدمّر البلاد وتفني العباد.

إن القرآن كتاب متكامل في كل شيء من عبادات وأخلاق وآداب للعشرة لأن منشأه منشأ نوراني غير مشوب بالهوى:

﴿وَما يَنطِقُ عَنِ الهَوى إنْ هُو إلّا وَحْيٌ يُوحى﴾[١].

* * *

منشأ النيران

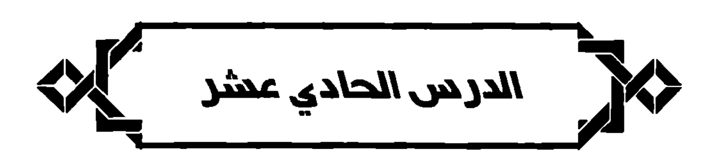
لقد أكمل القرآن الحجّة على الانسان فحذّره النار بقوله: **﴿فَاتَّقُوا النّارَ الَّتي وَقُودُها الناسُ والحِجارةُ أُعِدَّتْ لِلكافِرينَ﴾**[٢].

يعدّ الانسان أسباب دخوله النار بسبب ما يرتكبه من المعاصي والذنوب، ومنشأ دخوله النار في تلك النشأة هو أعماله في الدنيا، إذ لو لم تكن معصية في البين لم يدخل النار، فالمنشأ في ذلك هو الانسان نفسه، لأنه إن سُلبت منه انسانيّته صار يفعل ما يشاء.

* * *

---

(١) النجم: ٣ ـ ٤.
(٢) البقرة: ٢٤.



﴿وَبَشّرِ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ أنَّ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ....﴾[1]

البعد الإلهي في الانسان

إنّ البعد الإلهي في الانسان هو إيمانه بالحقّ تعالى وبما وراء الطبيعة، وهذا البعد عبارة عمّا أودعه الله في وجود الانسان الذي عبّر عنه بالروح، فقال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحي﴾ أو العقل النوري الذي بني عليه أساس الفطرة وهي عبوديّة الله تعالى.

لقد فطر الانسان على التوحيد، حيث لا يتطرّق إلى فطرته الكفر والنفاق، فلو سلكت هذه الفطرة النوريّة طريقاً إلى الله تعالى لكانت سبباً في تكامل الانسان المتوخّى منه.

إنّ من اللازم على الانسان هو رقي درجات القرب الإلهي عن طريق تهذيب النفس وتزكيتها من رذائل الصفات الحيوانيّة، وتخليص النفس الأمّارة من حجاب الظلمات.

* * *

---

(١) البقرة: ٢٥.

موانع الشهود والمعاينة

إنّ على الانسان التدبّر في آيات الله تعالى وعليه إزالة الحجاب الذي غطّى بصره بسبب ابتلاءه بالشهوات والمعاصي ورذائل الاخلاق من الحسد والحرص، وليتأسّى بعلي عليه السلام الذي ما رأى شيئاً إلّا ورأى الله فيه ومعه وقبله وبعده فهو القائل: «من عشق شيئاً أعشى بصره»[1]، وعلى العكس من ذلك تماماً ما عن الأوربيين الذين قالوا: بأننا مع كل هذه الاكتشافات والاختراعات لم نتوصّل إلى حقيقة باسم «الله».

أقول: ولا ينبغي لكم أن تعرفوا ذلك لأن معرفة طريق الحق تعالى ليس هو طريق الشياطين بل طريق الأنبياء والعلماء.

سيروا في طريق الحق والتوحيد فإن لم تعرفوا الله أكون لكم ضامناً، لكنكم لم تسيروا بعد وترجون أن يكون الايمان بالله نصيبكم، وهذه النعمة لا تجتمع مع الذنوب والمعاصي.

إذن عليكم بترك الظلم والتعدي والتآمر على الآخرين فإن ذلك كلّه من الموانع التي تصدّ عن الاستضاءة بنور العقل ومن الهداية الإلهية، فمن إرادة تقوية الفطرة التي أودعها الله في وجوده العمل بما ذكرنا ليعلم أنه في مسير العبودية المطلقة لله تعالى دون عبودية الهوى.

إن على المسلم أن ينظر في أيّ الأعمال يكون رضا الله تعالى فيقوم بأدائه ولا تيرك الاختيار في ذلك إلى النفس التي تحبّ الدعة وترجّح الراحة فإن في ذلك رضا الشيطان.

* * *

---

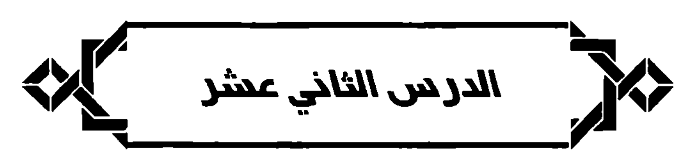
(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.

العلاقة بين الايمان والعمل

قال تعالى : ﴿**وَبَشّرِ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ**﴾ ، العمل الصالح هو أداء الواجبات وترك المحرّمات ، فإنّ ذلك يجعل من الايمان راسخاً ، وعلى العكس من ذلك تسلب المعصية الايمان من الانسان وذلك بوضع الأقـدام فـي ركاب الشيطان ، فالطاعة تقرّب من الله تعالى والمعصية من الشيطان ، قال تعالى : ﴿**ثُـمّ كـانَ عـاقِبةُ الّـذينَ أسـاؤُا السُّـوئى أَنْ كَـذّبُوا بِآيـاتِ اللهِ وَكـانُوا بِـها يَستَهزِؤُنَ**﴾[١] .

* * *

(١) الروم : ١٠ .



الدرس الثاني عشر

﴿وَبَشِّرِ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾

أنواع العبادة

إنّ الطريق الوحيد الذي يقوى به إيمان العبد هو سلوك طريق الله ، طريق الطاعة الذي يتفاوت بحسب المطيعين كمّاً وكيفاً ، فإنّه لا بدّ أن يكون قلب الانسان ويده وعينه ولسانه وجميع جوارحه في طاعة الله ، وإن اختلفت درجات طاعة تلك الجوارح ، فالعبادة تارة تكون عبادة العبيد ، وأُخرى عبادة التجّار وثالثة عبادة الأحرار ، «**إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجّار ، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار**»[1].

فالأحرار وجدوا الله أهلاً للعبادة فعبدوه وتركوا ما سواه ، فإنّ ما سواه هو الحجاب بين الانسان وربّه ، يمنعه من رؤية ربّه ومن رؤية الحقّ .

* * *

الله نور السموات والأرض

إنّ جميع ما سوى الله هو حجب في بعضها نور وفي بعضها الآخر ظلمات ، وتختلف مراتب النوريّة شدّة وضعفاً في تلك الحجب ، قال تعالى : ﴿**اللهُ نُورُ**

---

(١) نهج البلاغة : ٢٣٧ ، الحكمة ١١ .

السَّموات والأرضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيها مِصباحٌ المصباحُ في زُجاجةٍ الزُّجاجَةُ كأنّهَا كَوكَبٌ دُرِّيٌ...﴾[1]، فهو تعالى نور السموات والأرض، وهو أصل النور وأُسّه.

*　　*　　*

الحجب، ورؤية الحقّ تعالى

عن النبيّ صلّى الله عليه وآله انّه قال في عليّ عليه السلام: «إنّ عليّاً ممسوسٌ في ذات الله»[2]، ولعلّ مفادها فقدانه عليه السلام حتى لحجب النور أي ليس بينه وبين الله تعالى حتى تلك الحجب والنورية فيكون ممسوساً في الله، وهذا بخلاف معرفتنا لله تعالى فإنه لا بدّ لنا من تلك الحجب النورية.

ففي نظر الحسين بن علي عليه السلام أن من تردد في البحث عن الله تعالى عن طريق الآيات يكون بعيداً عنه تعالى، ففي دعاء عرفة أنه عليه السلام قال: «إلهي تردّدي في الآثار يوجب بُعد المزار»؛ أي من أراد البحث عنك في الآثار لم يزدد عنك إلّا بُعداً، فالانسان الكامل في غنى عن تلك الآثار، وهذا يناسب مقامه عليه السلام.

*　　*　　*

منزلة النبيّ وأهل بيته عليهم السلام

ثم إن جميع ما لدينا هو من بركات وجودهم عليهم السلام، بل الكون بما فيه لهم، وهذه المجالس أيضاً هي من بركاتهم، واعلموا أنّ لرسول الله صلّى الله عليه وآله ديناً في رقاب المسلمين إلى يوم القيامة، وأن وفاء هذا الدين رهين السير في خطاه والاستنان بسنّته.

*　　*　　*

---

(١) النور: ٣٥.

(٢) بحار الانوار ١١٠: ٣١.



الدرس الثالث عشر

﴿وَبَشِّرِ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ أنَّ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ....﴾

الذي يُفهم من سياق هذه الآيات انّ المراد من الايمان هنا هو الايمان بجميع ما يتعلّق بشؤون الدين، كالايمان بالله والنبوّة والمعاد والولاية، لأنّ الولاية من شؤون الرسالة.

* * *

ميزان العمل الصالح

ما هو العمل الصالح؟ وما هو الملاك في كون العمل صالحاً أو طالحاً؟ هل الملاك في معرفة ذلك هو الأمر والنهي الشرعي؟ بمعنى أنّه كلّ عمل منهيّ عنه يكون طالحاً وكلّ عمل مأمور به يكون صالحاً، أو أنّ الملاك في ذلك ليس مجرّد أداء التكاليف الإلهية، بل ملاك كون العمل صالحاً هو جهته ونيّة أداءه الذي يعبّر عنه بالقربة، أي أنّه لو نوى القربة في أداء عمل وكان ذلك العمل موجباً لرضا الله كان ذلك العمل صالحاً.

فقد ورد في الروايات أنّ «**من بلغه شيء من الثواب على شيء من خير فعمله كان له أجر ذلك، وإن كان رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يقله**»[1].

والذي يستفاد من هذه الرواية انّ ملاك العمل الصالح ليس هو صرف الأمر

---

(١) ثواب الأعمال: ١٣٢.

به ، فإنّه وإن لم يتعلّق به أمر فهو عمل صالح ، ولو احتمل شخص وجود أمر في عمل من الأعمال فجاء به رجاء امتثال ذلك الأمر أُعطي ثوابه أيضاً وإن لم يقله النبي صلّى الله عليه وآله .

ولا بدّ أن يكون الإتيان بالعمل بداعي القربة لينال بذلك رضا الله تعالى ، فإن صرف الأمر لا ينفع في تصحيح العبادة ، فلو جاء بما تعلّق به الأمر كالصلاة رياءً لا ينفع الأمر بها شيئاً ، فملاك العمل الصالح هو أن يكون الانسان قد أتى به متقرّباً إلى الله ولأجل نيل رضاه تعالى وأن لا يشرك فيه مع الله أحداً ، فعن الصادق عليه السلام أنه قال في حديث قدسي : «**قال الله عزّ وجلّ : أنا خير شريك ، من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلّا ما كان لي خالصاً**»[1] .

* * *

الدواعي غير الإلهيّة

ومن ذلك يُعلم أنّ جميع ما قام به علماء الغرب من خدمات اجتماعيّة كصناعة الطائرات ووسائل النقل المتطوّرة وغير ذلك لا يمكن جعله في عداد الأعمال الصالحة ، لعدم توفّر الدواعي الإلهية فيه ، إذ الغرض الذي يتوخّوه من وراء ذلك هو تهيئة أرضية السلطة على الشعوب المستضعفة ، فإن الغرب وإن كان يطبّل للحرّية إلّا أنّه يريد العبوديّة والذلّ للشعوب في جميع العالم .

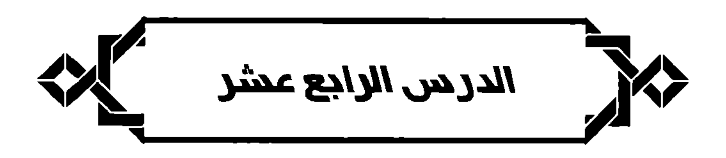
انّه من المستحيل أن توفّق النفوس الشيطانيّة لئن يجري الخير على أيديها ، لأنّ النفس انّما تتمكن من القيام بعمل الخير إذا كانت صالحة إلهية تتوخّى رضا الله تعالى .

ثمّ إنّ الملاك في الأعمال الصالحة هو احتوائها على حيثيّة إلهيّة ، ولو نسب العمل إلى العمل الصالح وكان وجهه شيطانيّاً فهو ليس بعمل صالح .

* * *

---

(١) الكافي ٢ : ٢٩٩ .



﴿وَبَشِّرِ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ أنَّ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ....﴾

العمل الصالح وأثره في الكمال البشريّ

لا بدّ أن يكون العمل الذي يقوم به المؤمن خالصاً لوجه الله تعالى، لكي يؤثّر تأثيراً ايجابيّاً على نفسه، فصلاة المؤمن إن كانت تنهى عن الفحشاء والمنكر كانت كمالاً له، وصومه «جُنَّةٌ من النار»[1] يطفأ به نيران طغيان النفس الأمارة التي بإمكانها حرق العالم بأسره.

إنّ المؤمن إذا صام صامت جوارحه وكان صيامه جنّة له من النار الباطنيّة ومزيلاً للحجب الظلمانيّة.

* * *

جهاد المؤمن

الجهاد هو منشأ جميع التحوّلات النفسيّة لدى الانسان، فهو السبب في

(١) أُصول الكافي ٢ : ٢٤.

تحوّل النفس من الحيوانيّة إلى كونها نفساً إلهية وانسانيّة، لأن المجاهد في سبيل الله يقطع جميع علائقه بالدنيا من أجل إعلاء كلمة الاسلام، وهذا بخلاف ما يقوم به من لا يعتقد بضرورة هذا الجهاد فإن جميع ما يقوم به يكون ذو وجهة شيطانيّة لعدم ايمانه بالله تعالى.

فالمسلم والمؤمن الذي يحضر ساحات القتال ويجاهد الأعداء يكون هدفه بناء نفسه بواسطة هذا الجهاد واللحوق بدرجات الصلحاء ولا يكون غير المؤمن هدفه من الحضور في ساحات القتال ذلك أبداً ولو كان بينه وبين الموت خطوات.

❊ ❊ ❊

إنفاق المؤمن

من خصائص المؤمن الأُخرى إنفاقه في سبيل الله، قال تعالى: ﴿**يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُم بالمَنِّ والأذى**﴾[1] وقال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقونَ أمْوالَهُمْ في سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ في كُلِّ سُنبلَةٍ مائةَ حَبّةٍ وَاللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ واللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[2] فالمضاعفة في الآية من خصوصيات إنفاق المؤمن، وقال تعالى في مضاعفة الحسنات: ﴿**مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمثالِها وَمَنْ جاء بالسَّيِّئةِ فَلا يُجْزى إلّا مِثْلَها وَهُم لا يُظلَمُونَ**﴾[3].

❊ ❊ ❊

---

(١) البقرة: ٢٦٤.
(٢) البقرة: ٢٦١.
(٣) الأنعام: ١٦٠.

آثار وبركات الايمان

لا بد للانسان أن يعلم بأن رزقه وشفاءه وعلمه وقدرته وكلّ شيء هو من الله تعالى ، فإن اعتقد بذلك وتوصّل إلى هذه المرتبة من الايمان لم يكن يبالي بأعظم القوى ولم يعتن بتكذيب الناس له وتكالبهم عليه .

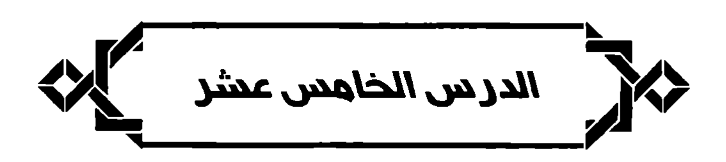
لا يختص الطريق الذي سلكه الأنبياء بخصوص (الأنبياء عليهم السلام)، بل هو طريق كلّ من أراد التعرّف على الاسلام والمبدأ والمعاد ، ومن لوازم السير في هذا الطريق اجتناب المحرّمات وامتثال الواجبات .

ومن خصائص الايمان هو أنه يخرج الانسان من حالة القلق والاضطراب ويستبدله بالسكينة والوقار ، بحيث لا يكترث عند الشك والشبهة في الدين والدنيا ، ويقف بوجه الابتلاءات والشدائد كالجبل الأشم ، وهذا هو الهدف الذي يبغيه الأنبياء من وراء رسالاتهم وذلك هو العروج بالانسان إلى أعلى درجات الكمال الذي هو المنشأ في ترتب جميع الآثار يوم القيامة ، وأما في الدنيا فأثرها السكينة والوقار النفسي .

إنّ كلّ همّ الأنبياء هو الارتفاع بالانسان إلى اعلى درجات الكمال ، ليدرك بذلك أمراً واقعياً، فإنّ ذلك الأمر الواقعي هو المنشأ لجميع الآثار يوم القيامة ، ومن آثار تلك الواقعية هو حالة السكينة والاطمئنان في النفس ، فالأنبياء بعثوا من أجل إيقاظ الوعي البشري ، جاؤا ليقولوا للانسان : شمّر عن ساعد الهّمة ولا تتعلّق بهذه الحياة .

فعلى الانسان أن يسلك طريق الهداية والايمان ، ليعلم أنّ كلّ ما في الدنيا ليس شيئاً ذي بال ، وانّ الايمان أعظم من كلّ شيء ، رزقكم الله إيماناً راسخاً ، و أنجاكم من الشيطان ومن سلوك طريقه .

* * *



﴿وَبَشّرِ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ أنَّ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ كُلّما رُزِقُوا مِن ثَمَرَةٍ رِزقاً قَالوا هذا الّذي رُزِقْنا مِنْ قبلُ وأُتُوا بهِ مُتَشابِهاً وَلَهُمْ فِيها أزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُم فِيها خالِدونَ﴾[1]

أُمور هامة

الأمر الأول: هذه الآية تتعلّق بأحوال يوم القيامة وما أُعدّ فيه للمؤمنين لقوله تعالى: **﴿وَهُم فِيها خالِدونَ﴾** ولا ربط لها بالبرزخ.

الأمرالثاني: انّ معاد الانسان جسماني لقوله تعالى: **﴿وَلَهُمْ فِيها أزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾** وهذاالرزق والتمتع بالازواج خاص بالموجودات المادية.

الأمر الثالث: انّه يستفاد من قوله تعالى: **﴿كُلّما رُزِقُوا مِن ثَمَرَةٍ رِزقاً قَالوا هذا الّذي رُزِقْنا مِنْ قَبلُ وأُتُوا بهِ مُتَشابِهاً﴾** انّ كل ما رزقهم ربّهم من رزق أتوا به متشابهاً، أي قالوا: قد رزقنا ربّنا ذلك في الدنيا.

* * *

---

(١) البقرة: ٢٥.

الجنّة والفضل الإلهي

هل هذه الجنات هي تفضّل من الله أم استحقاق للعباد ، في مقابل الايمان والعمل الصالح ؟ فإن كانت الجنات استحقاق في مقابل الايمان والعمل الصالح سوف يكون نفس الايمان والعمل الصالح تفضّلاً من الله وتوفيقاً من توفيقاته للعباد ، فلا يمكن أن يكون العبد مؤمناً أو عاملاً لصالح من الأعمال إلّا بتوفيق من الله ، اذن الايمان بجيمع مراتبه ـ من ايمان النبي الذي هو أعلى مراتب الايمان إلى ايماننا ، ومن أعمال الأئمة الصالحة الى اعمالنا ـ والعمل الصالح بحاجة إلى توفيق من الله لأنهما منشأ الجنات ، كل ذلك بحاجة إلى توفيق من الله ، فان كان ذلك الايمان تفضلاً منه تعالى فلا محالة تكون تلك الجنات تفضلاً كذلك .

* * *

التمثيل في القرآن

قال تعالى : **﴿إنّ الله لا يَسْتَحيي أنْ يَضْرِبَ مَثلاً مَا بَعُوضَةٌ فَما فَوقَها﴾**[١] وقال تعالى : **﴿مَثَلُ الَّذينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أولياءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ﴾**[٢] ومفاد هذين المثلين هو ان الانسان منقطع عن الله وانّه لا فرق بينه وبين هذه الحشرات التي لا يعدّها الانسان شيئاً ويستهين بوجودها .

لا ادري هل تعرفون معنى الانقطاع عن الله تعالى ، فإنّ الانقطاع عنه بمعنى إيكال أمره إلى نفسه والشيطان ، لذا يكون في عقيدته أهون من بيت

(١) البقرة : ٢٦ .
(٢) العنكبوت : ٦ .

العنكبوت ، ومصير كل من أوكل أمره إلى غير الله ذلك ، وعليه فمصير القوى الكبرى إلى الزوال والفناء ، لأن قدرته تعالى لا تقاس بها قدرة من سواه ، فهو الذي تسير الجبال بقدرته وتسجّر البحار بإرادته **﴿وإذا الجِبالُ سُيِّرَتْ﴾**[1]. **﴿وإذا البِحارُ سُجِّرَتْ﴾**[2].

* * *

---

(١) التكوير : ٥ و ٦.

(٢) التكوير : ٦.

الدرس السادس عشر

﴿كيفَ تَكْفُرونَ باللهِ وَكُنْتُم أمْواتاً فَأحْياكُم ثُمَّ يُمِيتكمْ ثُمَّ يُحييكُمْ ثُمَّ إليهِ تُرجَعُونَ﴾[١].

الانسان والحركة

للحركة أنواع ثلاثة : الحركة الذاتية أو الجوهريّة ، الحركة الاضطراريّة أو القهريّة ، والحركة الاختياريّة ، فإنّه لا دور للانسان في الحركة الذاتية والحـركة الاضطراريّة ، وهاتان الحركتان متحرّكتان بالوجود .

وأما الحركة الاختيارية فبها يتمكن الانسان من السير في طـريق الحـقّ والتقرّب الى الله ليكتسب بذلك الايمان والهداية ، وهذه الحركة غير مـتحرّكـة بالوجود لأنها في اختيار الانسان وارادته ، فإنّه ما لم تكن ارادة فـي البـين فـلا معنى للحركة ، فإن اختار بها السير في الطريق إلى الله وصار من أهـل الايـمان والصلاة والصيام ، وترك قبائح الاخلاق من الكذب والغيبة كـان عـلى صـراط مستقيم .

ثمّ انّ الحركة الذاتية هي حركة من العدم الى الوجود ومـن المـمات إلى

---

(١) البقرة : ٢٨ .

الحياة ومن الحياة الى الممات ، ومن ثمّ الرجوع الى الله ، قال تعالى : **﴿كيفَ تَكْفُرونَ باللهِ وَكُنْتُم أمْواتاً فَأحْياكُم ثُمَّ يُمِيتكمْ ثُمَّ يُحييكُمْ ثُمَّ إليهِ تُرجَعُونَ﴾**[1] .

وأمّا الحركة الاختيارية فهي حركة عن إرادة الانسان واختياره ، وليست كالحركة الذاتية الخارجة عن اختيار الانسان ، ولا كالحركة الاضطراريّة الموجودة في المعادن والنباتات ، والانسان بهذه الحركة يكون سالكاً طريق الأنبياء ويكون من الصالحين .

* * *

الاستدلال على وجود الله

في هذه الآية انكار على الكفّار كفرهم بلا بيّنة ولا كتاب مبين ، فهل جاء الانسان إلى هذه النشأة بإرادته ليذهب بإرادته كذلك ؟!

كلّا ، انّها حركة لا إرادية ، المحرّك فيها هو الله جلّ وعلا ، وهذه غير الحركة التي ينتقل بسببها الانسان من الكفر إلى الايمان والاسلام لأن زمام هذه الحركة بيد الانسان واختياره ، وفي الآية تذكير للانسان بأنّ مصيره إلى الفناء والموت كما كان عدماً أولاً ، وأن ذلك يكون بحركة قهرية المحرّك لها هو الله تعالى .

إنّه تعالى يريد الاستدلال بهذه الحركة الذاتية ـ الحركة من الموت إلى الحياة ومن .... ـ استدلالاً إنكارياً بأنك أيها الانسان كيف لا تعرف الله تعالى مع كلّ ذلك ؟

* * *

---

(١) لعلّ في الآية إشارة إلى عالم البرزخ المتوسط بين عالمي الدنيا والآخرة .

ورطة الحسرة والندامة

تقدّم انّ الحركة الجسمانية حركة إلهيّة ، وأن الحركة الاضطراريّة ليس لاختيار الانسان وإرادته دخلاً فيها ، بخلاف الحركة الاختيارية التي يكون فيها الانسان من أهل الجنّة أو النار ، فإن كان من أهل النار لا فائدة في قوله : **﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾**[1] أو يا ليتني كنت في ظلمة العدم .

فلينظر المرء الى مقام الأنبياء والصلحاء ثم ليرجع إلى نفسه حيث لا يحصد إلّا الحسرة والندامة .

* * *

اثبات الوجود المطلق

في الآية نظر الى أصل مبدأ العالم ، وفي صدد اثبات ما وراء الطبيعة ، واثبات العقائد الدينية ، ولها نظر أيضاً للتوحيد والشرك لقوله تعالى : **﴿كَيفَ تَكْفُرونَ باللهِ﴾** وهذا خطاب لمطلق المنكرين لمبدأ وجود العالم ، هذا في حال ان لهؤلاء ـ وبحسب الحركة الجسمانية ـ موت وحياة ، وان كانت الحياة الثانية لا يدركها كلّ أحد ، ولكن الموت والحياة الأُوليين والموت الثاني يدركه كلّ انسان ، فالانسان يدرك ان الحياة الاولى لم تكن ثم كانت وبعدها يحصل الموت ، وأنّ جميع هذه المراحل خارجة عن ارادته واختياره ، فإنه لا يتمكّن احد أن يقول : لا أُريد الحياة بل أُريد أن أكون تراباً لكي لا ابتلى بما فيه عذاب الآخرة .

ثمّ ان هناك فرقاً بين الحركة الإلهيّة الإختياريّة الروحانية للانسان ـ بحسب السعادة والشقاء ـ وبين الحركة الجسمانية فإنه ليس لأحد حتى النبي

---

(١) النبأ : ٤٠ .

صلّى الله عليه وآله اختيار في الحركة الجسمانية ، لأن هذه الحركة خارجة عن حدود قدرة الانسان ، والمحرّك فيها هو الله ، فكيف ينكر الانسان وجود الله ؛ إذ لا بدّ من وجود محرّك فيما وراء الطبيعة يعطي الحركة الذاتية لهذا الوجود . وما قيل من أن «الذاتي لا يعلل ولا يختلف....» انّما يتعلّق بقدرة المخلوق لا بقدرة الخالق ، فالذاتي بالنسبة إلى فعل الله يعلل ويختلف ، فتسلب الحرارة من النار ويحيى الميّت وتدبّ الحياة في الشجرة اليابسة ....الخ .



الدرس السابع عشر

﴿هُوَ الَّذي خَلَقَ لَكُم مَا في الأرضِ جَميعاً ثُمَّ استوى إلى السَّماءِ فَسوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمٰواتٍ وَهُوَ بِكلِّ خَلْقٍ عَليمٌ﴾[1].

كل شيء للانسان

انّ كلّ ما في الأرض ـ وان كان مصدره السماء ـ فهو للانسان ، لما يستفاد من عموم الآية من أنّ البحار والجبال والمعادن والحيوانات كلّها للانسان ولصالحه ، فالانسان يعلم منافع بعضها ويجهل منافع البعض الآخر .

ثمّ أنّ الله تعالى قدّر المعايش والأرزاق بين خلقه وسوّى ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال : «**فقسّم بينهم معايشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم**»[2] ، وقال تعالى : **﴿الَّذي خَلَقَ فَسوّىٰ وَالَّذي قَدَّرَ فَهَدىٰ﴾**[3] ، والتقدير بأن جعل لكلّ نوع من المخلوقات ما يحتاج إليه وما يكون من رزقه وغير ذلك ، فقد خلق جميع أعضاء الانسان بما يتناسب مع هذا الوجود ، وهكذا في سائر الموجودات كالنباتات والبقول فبعض الثمار لثقل حملها لا تكون على

---

(١) البقرة : ٢٩ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣ .

(٣) الاعلى : ٢ و ٣ .

الأغصان بل على الأرض لئلّا تنكسر أُصولها فتموت ، وما ذلك إلّا تقدير العزيز العليم .

* * *

خليفة الله في الأرض

لقد مكّن الله تعالى خليفته في الأرض من كلّ شيء ، لأنّه الإمام والرجل المصلح في الأرض ، هو الذي يتحسّس آلام الأُمّة وهمومها ، فإن الخليفة لا يمكن أن يكون من جنس الملائكة لأنّه لا يتمكّن من معرفة ما يحتاج إليه الانسان ـ الذي هو ليس من نوعه ـ فيلبّي له رغباته ، ويفهم ما يريد ، بل بعث الله للناس رسولاً من أنفسهم فقال : **﴿قُلْ إنَّما أنا بَشرٌ مِثْلَكُم﴾**[1] أعرى وأجوع ، أموت وأمرض وأشفى .

لا يقال : كيف يراعي بشر مثل هذا حدود الله تعالى ؟

لأنا نقول : لا منافاة بين كونه من البشر وبين كونه مراعياً لحدود الله وحفظه لحقوق الانسان ودفاعه عن المظلومين ، وصموده بوجه دسائس الشياطين من دون أن ينحرف عن الصراط المستقيم ما دام مؤيّداً من السماء ، ولذا دفع الله تعالى هذا التوهّم بقوله : **﴿قُلْ إنَّما أنا بَشرٌ مِثْلَكُم يُوحىٰ إليَّ إنَّما إلٰهُكُم إلٰهٌ واحِدٌ﴾** .

انّه ليس هناك ثمّة فرق بين الأنبياء ومن سواهم من الناس سوى أن الأنبياء يتّبعون أهوائهم وأن ما عندهم هو من الله تعالى ، وأنّهم لا يركنون للظالمين أبداً ، ففي وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر أنّه قال :

---

(١) الكهف : ١١٠ .

«فأملك هواك وشُحَّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك»[1].

انّ الذي يرجى من خليفة الله تعالى هو الحكم بين الناس بالعدل، وأن لا يرتكب الحرام ولا يعيب على الناس افعالهم أو يفشي أسرارهم، هذا هو الخليفة الحقّ لا ما تصور الملائكة حين اعترضوا على خلق الله فقالوا: **﴿أتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفسِدُ فيها وَيَسفِكُ الدِّماءَ﴾**[2].

* * *

(١) نهج البلاغة: الرسالة ٥٣.
(٢) البقرة: ٣٠.

الدرس الثامن عشر

﴿وَإذْ قالَ رَبُّكَ لِلملائِكَةِ إنّي جاعِلٌ في الأرضِ خَليفةً قالوا أتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفسِدُ فيها وَيَسفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لكَ قَال إنّي أعْلَمُ ما لا تَعْلَمونَ﴾[1].

خليفة الله

خليفة الله هو الذي يكون علمه من علم الله وحكمته من حكمة الله ، عقله ورحمته وشفقته وعدالته كل ذلك نموذجاً وأسوة ، قال الملائكة : **﴿أتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفسِدُ فيها وَيَسفِكُ الدِّماءَ﴾** ثمّ قالوا : **﴿نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لكَ﴾** فجاء الجواب : **﴿إنّي أعْلَمُ ما لا تَعْلَمونَ﴾** .

ولعلّ اعتراض الملائكة لا يخلو من منشأ ، فانّ للانسان ناريّة ونوريّة ، فالناريّة هي منشأ الحروب والاعتداء والظلم وسفك الدماء ، والنوريّة ـ التي لم يلحظها الملائكة ـ وهي المأخوذة في طاعة الله التي تطفأ بها النيران ، وهذه النوريّة هي الحاكمة على النارية فالأنبياء أيضاً لهم نارية ونورية لكن ناريتهم محكومة بالنوريّة ، فقد أطفأت رحمة الانبياء وعلمهم وعدالتهم هذه النارية ، لأنّ النوريّة حيثيّة إلهيّة .

* * *

---

(١) البقرة : ٣٠.

خصائص خليفة الله تعالى

لا بدّ أن يكون خليفة الله تعالى مهذّباً لنفسه تاركاً لقبائح الاخلاق وذميم الصفات من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وغيرها ، فهل يمكن أن يكون الخلفاء هم المهذّبون لأنفسهم أم الناس هم المهذّبون لهم أم الله هو المهذّب لهم ؟

أما الناس فلا يمكن أن يكونوا هم المهذّبون للأنبياء لأنهم لو كانوا كذلك لكانوا في غنىً عن الأنبياء ، فإن الانسان قد يعجز عن تربية ولده فكيف به وهو يربّي انساناً كاملاً من جميع الجهات كالنبي والولي ، ولذا ورد في الدعاء الشريف الاستعانة بالله على تربية الأولاد فعن علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال : «اللهمّ أعنّي على تربيتهم وبرِّهم» .

وأما أن يكونوا هم المهذّبون لأنفسهم فلا يتيسر ذلك إلّا بتوفيق من الله تعالى لهم ، وإن نالوا أعلى درجات الكمال فهي درجات ناقصة من الكمال دونما إذا كان ذلك بتوفيق من الله لهم ، وحينئذٍ يكون علمه وحكمته وقدرته وكلّ شيء يصدر منه إلهيّاً ، ولذا يتمكّن من دحر مخططات الأعداء الشيطانيّة والوقوف بوجههم .

❊ ❊ ❊

الإمامة والخلافة

لا تكون الإمامة والخلافة إلّا من الله تعالى : **﴿وإذْ ابْتَلى إبراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأتَمَّهُنَّ قَال إنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إماماً﴾**[1]، انّ خليفة الله هو الذي يكون من آباء واُمّهات أطياب وأطهار ، ولا بدّ أن يكون خليفة الله مثل

(١) البقرة : ١٢٤ .

عيسى بن مريم الذي قال : ﴿**إنّي عَبْدُاللهِ آتاني الكِتابَ وَجَعَلَني نَبيّاً**﴾[1] إذ اعترف بالعبوديّة لله ، ومن هنا نعلم انّ الإمامة والخلافة لا تكون إلّا بجعل من الله كما صرّحت به الآية السابقة ، وهذا نظير المنظومة الشمسية التي لا يتمكّن أحد من تنظيمها كما هي عليه الآن سوى الله ، فإنّه قال : ﴿**هُوَ الّذي سخّرَ لَكُمْ الشَّمسَ والقَمر**﴾[2].

فالمعطي لجميع الصفات الإلهيّة للخليفة والإمام هو الله ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال في حقّ رسول الله صلّى الله عليه وآله : «ولقد قرن الله به ـ صلّى الله عليه وآله ـ من لَدُن أنْ كان فطيماً أعظم مَلَكٍ من ملائكته يسلك به طريق المكارم»[3].

لقد كان التقدير الإلهي هو أن يتربّى موسى عليه السلام في بيت فرعون تربية إلهية فقال تعالى : ﴿**وَاصْطَنَعتُكَ لِنَفسِي**﴾[4] ، وأن يكون فرعون بماله من الجبروت خاضعاً أمام موسى بما لديه من قوّة إلهيّة فقال له ولأخيه : ﴿**اذْهَب أنْتَ وأخوكَ.... قال لا تَخافا إنّني مَعَكُما أسمَعُ وأرى**﴾[5].

وقول موسى عليه السلام : ﴿**إنّي لا أمْلِكُ إلّا نَفْسي وأخي**﴾[6] ، عبارة عن المالكيّة التي أوصى بها علي عليه السلام مالكاً فقال : «أملك هواك»[7] ، فإنّ الانسان إن ملك نفسه ملك السيطرة على جميع الشرور لأنها من آثار النفس البشرية ، فإنّ أراد الغيبة قالت له نورانيّته لا تفعل ، وان أراد التآمر على أخيه

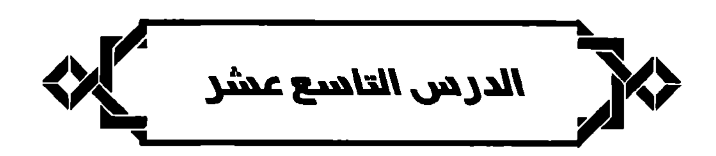
---

(١) مريم : ٣٠.
(٢) البقرة : ٣٣.
(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٩٢.
(٤ و ٥) طه : ٤١ ـ ٤٦.
(٦) المائدة : ٢٥.
(٧) نهج البلاغة : الرسالة ٥٣.

خاطبته حيثيّته الإلهيّة : لا تفعل ، حتى إذا أراد الاعتداء على حيوان تقول له : لا تعتدي .

لذا فإنّ من اللازم على الانسان رعاية حدود الله وحـقوق الآخـرين فـي أصعب الظروف وأحلكها حتى في ساحة القتال التي يكون فيها الانسان غرضاً للأعداء .

* * *



﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلملائِكَةِ إنّي جاعِلٌ في الأرضِ خَليفةً قالوا أتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفسِدُ فيها وَيَسفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَال إنّي أعْلَمُ ما لا تَعْلَمونَ﴾[1].

والبحث في هذه الآية يقع من ثلاث جهات :

الجهة الأُولى : في سعة دائرة القدرة الإلهيّة الحقّة ، وسعة قدرة الشـيطان ، وانّه ما حدّ نفوذ كل منهما ؟

الجهة الثانية : هل يمكن للقدرة الشيطانية مواجهة القدرة الإلهية أم تكون مقهورة بها ؟

الجهة الثالثة : ما هي آثار كلّ من القدرتين في عالم الإمكان ؟

* * *

سعة دائرة قدرة الشيطان

ليس للشيطان قدرة وقابلية على الخلق والايجاد ، أي لا يمكنه ان يخلق

---

(١) البقرة : ٣٠.

سماءً وارضاً ، فانه لو اجتمعت شياطين العالم على أن يُدبّوا الروح في ساق نبات ميّت وقالوا نريد ان نحيي هذا النبات بالفلسفة والعلم الطبيعي لما تـمكنوا ، لأن ذلك من خواص القدرة الالهية التي تخرج من الحبة سنبلاً وعنباً ورطـباً ، فـهو الذي يتمكن ان يبدّل المادة من صورة الى صـورة فـيجعل مـن التـراب نـباتاً ، والنبات حيواناً أو انساناً ، قال تعالى : **﴿هُو الّذِي يُصُوِّركُم فـي الأرحـام كَـيفَ يشاءُ﴾**(١).

ان للشيطان قدرة نـارية مشـتعلة فـي ارجـاء المـعمورة تـحرق جـميع المخلوقات في هذا العالم ، وله قدرة الانحراف والإضلال من طريق الحـق الى طريق الباطل ، ولله تلك القدرة لكن في الهداية الى الطريق المستقيم ، وله القدرة على ان يخلق خليفة وحجّة واماماً في الأرض ، وهذه القدرة للشيطان أيضاً لكن في الاتجاه المعاكس فانه بإمكانه ان يحرق العالم بأسره ، فهو موجود ناريّ بما للكلمة من معنى .

❊ ❊ ❊

الإرادة لدى الانسان

اعطى الله تعالى قدرة الاختيار والارادة للانسان فقال عزّ من قائل : **﴿إنّـا هَدَيْنَاهُ السَّبيلَ إمّا شاكِراً وإمّا كَفُوراً﴾**(٢)، فاختيار سبيل الحق والباطل موكول الى الانسان ، فإن اختار طريق الحق كان مسيره في طريق الأنبياء ، وترتب على ذلك نيله للعظمة التي نالها الأنبياء والصلحاء ، فيكون له العظمة والنورانـية فـي هذه النشأة ، وفي عالم البرزخ .

---

(١) آل عمران : ٦ .

(٢) الانسان : ٣ .

انّ قدرة الله تعالى فوق قدرة الشيطان لكونه مخلوقاً لله ، فإن سار الانسان في طريق الشيطان وانحرف عن طريق الحقّ يكون بنفسه شيطاناً ، وإن سار في طريق الحقّ كان نبيّاً وصالحاً وتقيّاً ، فلا ينبغي للانسان أن يهرّج ويقول: بأن وضع الزمان قد تغيّر ، كلاّ إن الانسان قد تغيّر ، فإن الشيطان لديه القدرة على أن يضلّ اتباعه ، فكم من أبناء هذا العالم هم من حزب الشيطان ؟ وهم مصداق قوله تعالى : ﴿**أكثَرُهُم لا يَعْقِلُونَ**﴾[١] و ﴿**أكثَرُهُم لا يَعْلَمُونَ**﴾[٢] و ﴿**أُولئِكَ كالأنْعام بل هُمْ أضَلُّ**﴾[٣].

انّ الانسان مخلوق لله ، وشيطانيته لا تحصل إلّا بإرادته واختياره ، أي انه إذا عدل عن طريق الحقّ وسار في طريق الباطل يكون فرعون زمانه ويمثّل قوى الشرق والغرب ، وهذه هي حصيلة السير في طريق الشيطان ، فإنّه ليس لهذه القوى وتلك القدرة امام قدرة الله وجود .

وقد جاء في رسالة النبي صلى الله عليه وآله الى امبراطور ايران انه من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ إلى امبراطور ايران أن أسلم أو استعد للحرب فانه لا طاقة لك على مواجهة الله ورسوله ، فلما قرأ الامبراطور رسالة النبي قال : ائتوني به ، لقد أهاننا وهو في قبضتنا ، فلم يمض وقت مديد حتى قبضه الله اليه وهلك .

فلو كان للانسان قدرة حقّاً فليدرأ الموت عن نفسه ، قال تعالى : ﴿**إنَّكَ ميِّتٌ وإنَّهُم ميِّتونَ**﴾[٤].

* * *

---

(١) المائدة : ١٠٣ .

(٢) الأنعام : ٣٧ .

(٣) الأعراف : ١٧٩ .

(٤) الزمر : ٣٠ .

آثار قدرة الله وقدرة الشيطان

انّ من قدرة الله تعالى اصطناع الأنبياء والأولياء عليهم السلام وإنزال الكتب وغير ذلك ، ومن قدرة الشيطان الذي جمع هذا الخلق العظيم من أوليائه حوله إنشاء مراكز الفساد والفحشاء والقوى الشيطانيّة الكبرى التي لا يصدر منها الخير ، فإن أعطوا الشعوب شيئاً فاعلم إنّ وراء ذلك مائة قصد وغرض ، فكونوا على حذر من تمرير مؤامراتهم العدوانية الشيطانية .

لا تغرّكم عبادة الرجل فتحكموا عليه بالصلاح من أجل ذلك، فعن الصادق عليه السلام انه قال : «**لا تنظر الى كثرة صلاة الرجل وصيامه ، بل انظر الى عقله وأمانته**» .

* * *



الدرس العشرون

﴿وَإذْ قالَ رَبُّكَ لِلملائِكَةِ إنّي جاعِلٌ في الأرضِ خَليفةً قالوا أتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفسِدُ فيها وَيَسفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إنّي أعْلَمُ ما لا تَعْلَمونَ﴾.

خلفاء الله في ارضه هم الأنبياء والحجج الطاهرة عليهم السلام أجمعين، وهدف هؤلاء هو اصلاح المجتمع والارتفاع بمستوى معارف الانسان وانقاذه من هلكات الظلمات والجهل، لأن ظلمة الجهل أشدّ من ظلمة الليل الحالك، فإنه ما مكّن القوى الكبرى من السيطرة على الأُمم مثل ما مكّنهم الجهل الذي تعيشه الشعوب.

لذا ينبغي على الشعوب أن تكون على حذر شديد من الدسائس والمؤامرات التي تحيكها القوى الكبرى ضد المسلمين ولا يتيسّر ذلك إلّا عن طريق التمسّك بالاسلام وتحصيل العلم والمعرفة الإلهيّة.

انّ المفاسد المترتّبة على ظلمة الجهل أكثر بمراتب من ظلمة الليل، والاسلام يريد رقي البشريّة عن طريق طلب العلم، ولذا جعل «طلب العلم

فريضة على كل مسلم ومسلمة»[١] ، فإن لم يكن الانسان على بيّنة من أمره كان تبيعاً للشيطان أو الشياطين الذين يتظاهرون بالصلاح ، لأنّ الشيطان لا يقول : أنا أذهب بكم الى جهنم ، ولا يقول : أنا شيطان ، بل يأتي عن طريق ادّعاء الانسانية والايمان لكنه كاذب في ذلك ، فما دمتم على بيّنة من أمركم و تتمكّنون من تمييز الحقّ عن الباطل ، والهدى من الظلال ، والايمان من الكفر لا يمكن أن تقعوا في حبائل الشيطان .

انّ الاسلام يقول : كونوا على بيّنة من أمركم ، كونوا سادة أنفسكم ، كونوا عبيداً لله وحده ، فكم لكم من إله ؟ تعبدون المال والمقام وتتّبعون أهواء أنفسكم وهذه حقيقة لابدّ من الاقرار بها ، اتركوا هذه الأرباب والجاؤا إلى الله ، فإنّ إحياء الموتى وإبراء المرضى لا يكون إلّا ببركة عبودية الله تعالى .

❊ ❊ ❊

أرضية الإصلاح

ان هدف خليفة الله هو الإصلاح في المجتمع ، من قبيل تهذيب النفوس وإصلاح العقائد والأخلاق والفقه .

ألا يحب أحدكم أن يكون انساناً ؟ وذلك بأن لا يكذب أو يفسد ؟ ألا تروون الأحاديث في فضائل أخلاق النبيّ صلّى الله عليه وآله وأنّه كان كذا وكذا ؟ فلماذا لا تكونوا كرسول الله في ذلك ؟ فإن لم تكونوا كذلك فكونوا من المسلمين ومن اُمّته صلّى الله عليه وآله .

انّ طريق خليفة الله طريق مقرون بالعلم والنور ، لأنه أمين الله على عباده ،

---

(١) بحار الأنوار ١ : ١٧٧ .

فهو يريد لهم العلم والعدل والانسانية ومعونة الفقراء والضعفاء كما انّه يريد لهم الكمال بالعبادة من الصوم والصلاة، ان الاسلام لا عدوان فيه.

انّ وعي الشعوب يطيح بالحكومات الفاسدة، ويوقفها على تزييف الحكومات للحقائق وتضليلها الشعوب، لكن «المؤمن كيّس»[1]، «ينظر بنور الله»[2] ولا يمكن للشيطان خدعته أو إغفاله.

إذا قام حزب الشيطان بخدمات اجتماعية فاعلموا أنه من وراء ذلك يحيك المؤمرات ضدّكم لأنه ليس غير الاسلام من يفكّر في تكامل البشرية، فهو يريد أن يرقى بالانسان الى الثريا.

اقطعوا الأمل ممّن سوى الله تعالى من الأرباب، فإنّه لا ربّ إلّا الله، فهو المعزّ الواهب لكلّ شيء، إلّا أن الانسان بجهله يهرب من الله ويلجأ إلى من سواه من الشرق والغرب، هدانا الله جميعاً طريق الاسلام، وأنار قلوبنا بنوره، وعرّفنا بمعرفته.

* * *

---

(١) بحار الأنوار ٦٧ : ٣٠٧.

(٢) بحار الأنوار ٢٤ : ١٢٣ و ١٢٨.

الدرس الحادي والعشرون

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ في الأَرضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتجعَلُ فِيها مَن يُفْسِدُ فِيها وَيَسفكُ الدِّماءَ وَنَحنُ نُسبِّحُ بِحَمدِكَ وَنُقدِّسُ لَكَ ...﴾

أئمة الهدى

نسب الله تعالى جعل الخلافة والامامة في الآية الكريمة الى نفسه ، فقال : ﴿إِنِّي جاعِلٌ في الأَرضِ خَليفَةً﴾ وقال في خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿وَإِذ ابتَلَى إِبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً﴾[1] ، وقال تعالى في تنصيب داود : ﴿إِنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَة﴾[2] وهذه الآيات تعطي بأنه ليس للناس حق الجعل أو التدخل في شؤون الله ، لعدم معرفتهم بمصالح انفسهم ، فكيف بمعرفتهم بمصالح العالم بأسره ؟ فالجعل لابدّ أن يكون من جانبه تعالى ، فهو الذي له حقّ تعيين الخليفة في الأرض ، وأيضاً ليس للملائكة حق التدخل في شؤونه تعالى فإنّه لما قال الملائكة : ﴿أَتَجعَلُ فِيها مَن يُفسِدُ فِيها ويَسفِكُ الدِّماءَ وَنَحنُ نُسبِّحُ بِحَمدِك ونُقدِّسُ لَكَ﴾ قال الله في جوابهم : ﴿إِنِّي أَعلَمُ ما لا تَعلَمونَ﴾ لأن علم الله فوق كلّ علم ، قال تعالى : ﴿وَفَوقَ كلِّ ذِي عِلمٍ عَليمٍ﴾[3].

* * *

(١) البقرة : ٢٤ .

(٢) ص : ٢٦ .

(٣) يوسف : ٧٦ .

النارية والنورية في الانسان

في كلّ انسان جهتان: جهة نارية وأُخرى نورية، فالنورية هي العقل وهي صفة إلهيّة، ومن جنود العقل العفّة والصبر والحلم والعفو وغير ذلك، وأما النارية هي صفة شيطانية لا تخلّف من الآثار سوى الدمار والفساد وسفك الدماء.

والملائكة انّما نظروا الى الجهة الثانية في الانسان التي هي من آثار كون نفسه شيطانية، ولكن في الانسان جهة نورية تصونه من الذنوب والمعاصي وتهديه الصراط المستقيم، وتعصمه عن الذنوب في أحلك الظروف، وتجعله مراعياً لحدود الله، ففي الحرب لا يقول: النار قد اضرمت فيضع حقوق الناس تحت قدمية، بل يراعي حدود الله وحقوق الناس حتى في ساحات القتال، ويوجد مثل هؤلاء الناس في عصرنا الحاضر، وهناك من يترحم على اليتيم، ونحن بأمس الحاجة الى انسان يبكي على اليتيم ويترحّم على الضعيف والمحتاج، الانسان الذي لا تتحكّم فيه النارية فقط.

انّ المثل الأعلى للنورية في الانسان هو النبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله، وهذه المجالس انّما أُقيمت بسبب تلك النورية، فالانسان ان لم يرد أن يكون نورانيّاً ولم يسلك طريق العلم والتقوى، بل أراد أن يعبد هواه ويكون مطيعاً للشيطان فالأمر في ذلك إليه، فإنه ان لم يرد اختيار الطريق الهادي الى الله فقد اغنى سلوك الأنبياء والصلحاء لذاك الطريق عن سلوك مثل هذا الانسان.

* * *

السالكون في طريق النور

لماذا صار أكثر الناس من اتباع الشيطان بحيث أخذ القرآن ينادي في حقّهم بأن ﴿ **اَكثَرُهُمْ لايَعقِلَونَ** ﴾[1] و ﴿ **لا يَعلَمُونَ** ﴾[2] و ﴿ **لا يشكُرُونَ** ﴾[3] ؟

---

(١) المائدة: ١٠٣.

يعيش في عصرنا الحاضر خمسة مليارادت نسمة لا يؤمن بالله منهم إلّا القليل ، فلماذا يكون سالكي طريق الحقيقة والنور بهذه القلّة ومن سواهم يكون من اتباع الشرق والغرب ؟ ولعلّ السرّ في ذلك هو أن الانسان عندما يقف على حقيقة الأُمور ويدركها دركاً صحيحاً يكون بذلك انساناً ، ولا نقصد بكونه انساناً الصورة الظاهريّة للانسان ، بل المراد منه مجموعة المشاعر والادراكات التي تجعله يرتفع عن مستوى الحيوانات ، و ذلك بأن لا يكون محدود الإدراك والشعور مادياً صرفاً لا يفكّر إلّا بالوضع المعيشي والغذاء والسكن ، فإن صار هذا الوجود انساناً حقيقة حينئذٍ يكون له ادراك وشعور آخر ، فانّه ما لم يكن له فهماً انسانياً لا ينفعه القرآن شيئاً ولا تنفعه النصائح والمواعظ ، فهو أوّلاً لابدّ أن يكون انساناً بتزكيته لنفسه ليعرف حقيقة هذا الكلام ، فالانسان ما لم يتزكّى لا يصدق في حقّه قوله تعالى : **﴿هُدَىً للمتّقِينَ﴾**[٤] ولا قوله تعالى : **﴿قَدْ افْلَحَ مَن تَزكّى﴾**[٥] .

* * *

كيف يكون الانسان انساناً ؟

إذا ترك الانسان المحرّمات المنهي عن ارتكابها وابتعد عن الخدع والمكر بالآخرين حينئذٍ يكون انساناً ، فاذا صار انساناً يميز حينئذٍ بين الخير والشّر .

ان الأشرار لا يدركون بأن الظلم قبيح ، بل يعتبرون ذلك من الشجاعة وداعٍ من دواعي الافتخار ، ولكنهم عندما يصطدمون بأُناسٍ أشرار مثلهم يعلمون بأن الظلم قبيح .

---

(٢) الأنعام : ٣٧.
(٣) النمل : ٧٣.
(٤) البقرة : ٢.
(٥) الأعلى : ١٤.

انّ النفوس الانسانية ما لم تتزكّى لا تعرف معنى دعوة الأنبياء ولا تتمكّن من اجابة دعوتهم ، لأنها ما دامت مشغولة بالدنيا لا تفهم هذه المعاني .

انّ الانسان إذا أطلق العنان للنفس لا يكون إلّا ما ترون ، والعجيب أنّه يستغرب من وضعه ويقول : لماذا صار بنا هكذا ؟ إذا نسى الانسان ذكر ربّه وتجاوز حدود الله وحقوق الناس يكون مستعداً في تدمير بلاد بأكملها ، بل الكرة الارضية وما فيها ، ولكن إذا صار من أهل الله لا تغمض عيناه من أجل طفل يتيم ، وهذا هو الفرق بين طريق الحقّ وطريق الباطل ، فإن رقدت عينا أحدكم في مقابل طفل يتيم ولم يقم بواجبه تجاهه فليس بانسان ، و لم يصل بعد الى مقام الانسانية .

على الانسان أن يتأمّل في عاقبة الذين أسأءوا والذين أحسنوا ويقارن بينهما ، فيحاول أن يكون من الفرقة الناجية الذين خلد ذكرهم إلى يومنا هذا ، فهذه مراقد ومشاهد الأئمة وعتباتهم المقدّسة يقصدها الزائرون من كل حدب وصوب لقضاء حوائجهم ، والدعاء تحت قبب أضرحتهم ، ولم يجدوا إلّا قضاء الحوائج واستجابة الدعاء .

ان الانسان إذا ترك الكذب والخدع والمكر ولعب الادوار في حقّ الآخرين يكون حنيئذٍ انساناً حقاً ، ويعلم بأن كلام النبي كان حقاً .

لابدّ للغرب أن يقف يوماً على حقيقة الاسلام ، الاسلام الذي يأمر الانسان حتى لو كان في ساحة القتال بمراعاة حقوق الانسان وحفظ حدود الانسانية فلا يقتل في ساحة القتال بريئاً .

وفّقكم الله لمعرفة حدود الاسلام والعمل بتعاليمه ، وجعلكم من أهل النور ، واعلموا أن الذي يصونكم من جميع الحوادث هو تمسّككم بالاسلام .

* * *



﴿وَ قُلْنا يا آدَمُ اسكُنْ اَنْتَ وزَوجُكَ الجنَّةَ وَكُلا مِنها رَغَداً حَيثُ شِئْتُما ولا تَقَربا هَذِهِ الشَّجرةَ فَتكونا مِن الظالِمينَ﴾

التقوى وترك الهوى

انّ مورد الخطاب في الآية وإن كان هو آدم عليه السلام لكن في الحقيقة المخاطب هنا هو نوع الانسان، فقد اعطى الله حقّ التصرّف لآدم في طيّبات الجنّة ومنعه من الاقتراب الى الشجرة.

إنّ من أسباب الحرمان من البركات والنعم الإلهية ارتكاب الانسان للمعاصي، والسرّ في أننا لا نجد في أنفسنا توفر صفات الانسان الكامل هو ذلك، لان الله تعالى لا يهب منصب الإمامة والولاية للظالمين، وأي ظلم أعظم من دفن الفطرة والقوة العاقلة ؟ فإنّ إبراهيم الخليل لما سأل الله أن يجعل الامامة في عقبه جاءه الجواب: **﴿لَا يَنالُ عَهْدِي الظالِمينَ﴾**[1]

* * *

(١) البقرة: ١٢٤.

العبودية سبيل الكمال

يتمثّل طريق الوصول الى المقامات الانسانية العالية في العبودية لله تعالى ، فالانسان كلّما اقترب في حركته التكاملية من الساحة الإلهية المقدّسة كلّما حاز على الكمالات النفسية أكثر ، ويكون نصيبه من النعم الإلهيّة أوفر ، فقد وصل النبيّ صلوات الله عليه وآله الى مقام الخاتمية والولاية والعروج ، بسبب تزكيته لنفسه وعبوديته لربّه التي صارت مقدّمة للرسالة والنبوّة ، ففي التشهد نقول : «أشهد أن محمداً عبدُه ورسوله » .

لا ينبغي للانسان سدّ باب النعم الإلهية بمجرّد إقبال الدنيا عليه ، فطالما أقبلت الدنيا على الأنبياء والأولياء عليهم السلام فلم يعتنوا بها ولم يستبدلوها بالنعم المعنوية من القرب الإلهي والنبوة والإمامة وإحياء الموتى .

لو كان للإنسان جزء واحد من ايمان الأنبياء والأولياء لذهب بجميع الاضطرابات النفسية والشكوك والشبهات ولبلغ به مقام التوحيد الذي هو من أفضل النعم .

لا بدّ من عودة الانسان إلى فطرته التي تردعه بالضرورة عن ارتكاب الكبائر والمحرّمات لمخالفتها العقل السليم ، وهذا لا ينافي كون الهوى وطلب الانسان إلى الحرّية المطلقة مغروزتين في ذات الانسان .

لا ينبغي للانسان أن يتصوّر بأن الحياة تتلخّص في الأُمور الماديّة بل لا بدّ أن يعلم بأن للأُمور المعنوية أيضاً كالايمان ومعرفة الله وجود ، وأن جميع البركات من الإحياء والإماتة والولاية هي من آثار الايمان والتوحيد والعبودية .

لقد سخّر الله تعالى جميع ما في الكون للانسـان الصـالح الكـامل ، قـال تعالى : ﴿إن تَنْصُروا الله يَنْصُرْكُمْ﴾[1]، وأما المتّبع للشيطان فلا يكون نصيبه من الآخرة شيئاً ، ولا تناله النصرة الإلهية في الدنيا ، فلو أن الانسان عـمل بـتعاليم الاسلام لكانت الأرض جنّة .

إنّ المحروم من نعمة العقل ونورانيّته تكون الدنيا بالنسبة إليه جهنّماً ، لأن المعصية تتنزّل به من مقام الانسانية الرفيع إلى الحضيض ، وتحرمه من عـصمة التقوى ونعمة الإرادة وليس من طريق سوى التوبة والأوب إلى الله تـعالى الذي يُوجد في باطن الانسان تحوّلاً عجيباً .



(١) محمد : ٧.



﴿فَأَزَلَّهُما الشَّيطانُ عَنْها فَأَخْرجَهُما مِمَّا كانا فِيهِ قُلْنا اهبِطُوا جَمِيعاً بَعْضُكُم لِبعَضٍ عُدوُ وَلَكُم فِي الأَرضِ مُسْتَقرٌ وَمَتاعٌ الى حينٍ﴾[1].

التنزّل من مقام الخلافة

لقد نهى الله تعالى آدم وحواء عليهم السلام من الاقتراب إلى الشجرة ، فوسوس لهما الشيطان فأزلّهما وعصيا أمر ربّهما فأُهبطا من مرتبة القرب الإلهي ومقام الخلافة الشامخ المعدّ لهما في الأرض ، بسبب ابتلائهما بالغريزة الحيوانية ، لقد اُهبطا إلى هذه المرتبة الدانية التي يحيطها الشرّ من كلّ جانب ، فالاعتداء وسفك الدماء والقتل والخيانة والظلم محدق بهذه الدار ، ولما كان وجود الانسان في هذه المرتبة النازلة ناري صار يحرق كلّ شيء ، إلّا أن يحدّ من ناريته بسبب العبودية لله والطاعة حينئذٍ يكون في مرتبة الأولياء والأنبياء عليهم السلام .

ثمّ أن نارية كلّ انسان تكون بمقدار وسعه وقدرته ، فان كانت قدرته على

---

(١) البقرة : ٣٦ .

حدّ ناريّة القوى الكبرى وقدرتها كانت ناريّته بتلك الدرجة ، وإن كانت على حدّ حرق المحل والزقاق الذي يعيش فيه فناريّته كذلك ، وان كانت قدرته محدودة بالبيت فهو يحرق البيت وهكذا .

❋ ❋ ❋

التغيّر سبيل النجاة

من أراد الخلاص من هذه النار والنجاة فلابدّ له من أن يغيّر ما في نفسه ، وعليه بالسير في طريق الأنبياء والصلحاء ليكون على سبيل نجاة .

توجد في هذه المرتبة النازلة من الوجود العداوة والبغضاء والحسد وكلّ شيء، وفي جميع ذلك نار لا يراها إلّا ذوي البصيرة ، فإن هذه النار أشدّ ضرراً على الانسان من كلّ نار ، وينحصر طريق الخلاص منها في سلوك طريق الكمال وذلك بالترفّع عن الحيوانية ، فيكون وجوده حيئنذٍ رحمة .

❋ ❋ ❋

الايمان أساس الاتّحاد

لا يمكن أن تتحقق الوحدة بين القوى العالمية الشيطانية لما بينهما من العداوة المتأصّلة لكونها في المرتبة الحيوانية النازلة ، كما أنه يستحيل الاختلاف بين الأنبياء مع بعضهم الآخر ، بل مضافاً إلى عدم الاختلاف تجد أن البعض يؤيّد البعض الآخر ، فالنبي السابق يبشّر بالنبي اللّاحق ويكمل مسيره ، لأن الجميع في المرتبة العالية من المراتب الإلهية والانسانية .

لا تقلّ القطّة وحشيّة عن وحشيّة الذئب سوى أن الأخير أكثر قوّة منها ،

فإنّ قوة القطّة بمقدار قدرتها على اختطاف فراخ الحمام ، فلو كان لها ما للذئب لقتلت الانسان ، وهكذا درجات الناس في النارية .

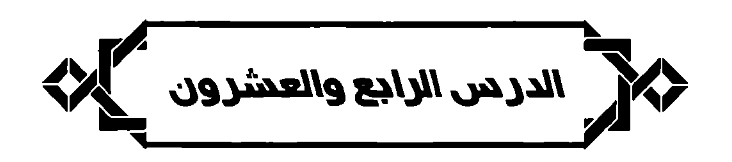
* * *

إلى النور

قال تعالى : **﴿إهبِطُوا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾** ؛ أي اهبطوا إلى دار الدنيا هبوطاً مقروناً بالعداء والحروب والدماء والشرور ، **﴿وَلَكُم فِي الأرضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إلى حِينٍ﴾** ، و «حين» اسم مبهم للزمان لا تعيّن فيه ، فهل هو كناية عن يوم توبة آدم أو يوم ولادة الانسان أو موته أو يوم الحساب أو يوم الشفاعة ؟

أما الشفاعة والتوبة فيخرجان الانسان من النارية إلى النورية ويلحقاه بالصالحين ، فإن أراد الانسان أن لا يحترق الناس بناره عليه أن يغيّر ما في نفسه بالتوبة ليكون خليفة الله تعالى في ارضه لينال ما نال الأنبياء والأولياء من نعم هذا المنصب الإلهي الخطير .

* * *



الدرس الرابع والعشرون

﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إلىٰ حينٍ﴾

الفطرة السليمة

ذكرنا أن «حين» يمكن أن يكون كناية عن زمان الشفاعة أو التوبة أو غير ذلك، والبحث الذي يناسب المقام هو أنه ما الذي تقتضيه الفطرة، هل تقتضي الايمان وعمل الصالحات ؟ أي هل تقتضي الفطرة ـ وبغض النظر عن الأسباب الخارجية ـ أن يكون الانسان موحّداً أو تقتضي الكفر والالحاد والشر، أو لا تقتضي لا هذا ولا ذاك ؟

وقد يقال : بأن الذي تقتضيه الفطرة هو ما اقتضته فطرة آدم عليه السلام بعد التوبة والرجوع إلى الفطرة.

طهارة الفطرة

إنّ للانسان ـ وبغض النظر عن تأثيرات البيئة والعوامل الوراثية ـ سير تكاملي نحو الجنّة والنعيم المقيم، فإن عصى الله تعالى سوف يكون جهنمياً ويتنزّل الى الحضيض، إلّا أن تناله شفاعة النبي وأهل بيته عليهم السلام إن كان مستحقاً لذلك، وإلّا فهو في النار من الخالدين.

إنّ اعتياد ذوي المعاصي على ارتكاب الذنوب والمآثم يكون شبيهاً بالأفيون، فالانسان بحسب فطرته لا يمكن أن يعتاد على العصيان.

قد يكون للبيئة دخل في ما يرتكبه الانسان من المعاصي ويعتاد على ارتكابه، فإن المعروف أن الصدق ينطق به الأطفال، لأنّ الكذب يحتاج إلى مؤنة زائدة وإلى شيء من التأمل فيه لئلّا يفتضح صاحبه بالكذب، والطفل قد لا يلتفت إلى هذه المؤنة لذا فهو يجتنب الكذب، وهذا خلاف الصدق فإنه إخبار بعين الحقيقة ويكون محمود العاقبة.

إنّ الطفل يتعلّم الكذب ويعتاده إذا رأى أبويه يكذبان في اليوم الواحد أكثر من مرّة، فالفطرة إذن لا تقتضي اعتياد فعل المعاصي والشرور.

إن صلاح الأبناء يرتبط إلى حدٍّ ما بصلاح آبائهم، فلو كان الأب مصلّياً وأمر ولده قبل سن البلوغ بالصلاة يكون الطفل بعد البلوغ مصلّياً، ولو كان الأب مصلّياً ولم يأمر ولده بالصلاة قبل البلوغ قد لا يؤثر أمره إياه بالصلاة بعد البلوغ، فإن أراد أحدكم أن يكون مطمئن البال من ناحية ولده عليه أن يكون هو انسان أولاً، فقد يعدل الجهد في اصلاح الولد غير الصالح الجهد الذي يبذل على عشرة أولاد صالحين.

* *

الغاية من الخلق

تقتضي الفطرة بحدّ ذاتها الايمان والخير كما اقتضت فطرة الأنبياء عليهم السلام ذلك، إذ كانوا القمّة في الايمان والهداية والتقوى وحب الخير والصبر وتحمّل مقام الخلافة الإلهيّة.

إذن مقتضى الفطرة مغاير لوساوس الشيطان ولما تريد القوى العظمى

تحقيقه من شرور شيطانية، لأن الغرض من خلق الانسان هو أن يكون خليفة في الأرض لا أن يكون ذئباً ضارياً.

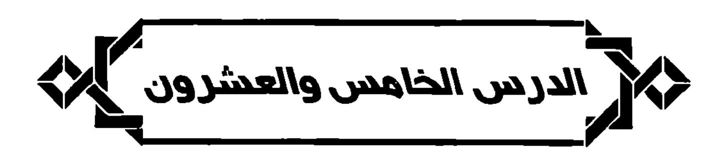
قد يتصوّر الانسان أنّه إذا تمكن من حلّ مشاكله المادّية والاقتصادية يكون قد حلّ كلّ شيء، كلّا، لأنك قدتجد من يفكر بوضع خطط وحلول لإقتصاده وإذا به يفاجأ بنسف جميع ذلك في آن واحد، وأن الانسان مستعد أن يعمل لتعديل وضعه الاقتصادي طول عمره لكنه لا يعمل لآخرته شيئاً، فيأتي يوم الحسرة والندامة وليس في صحيفته شيء يذكر.

لقد طمأن الاسلام الانسان من ناحية رزقه وقال له: بأنّك أيها الانسان لا تأكل إلّا ما قسم الله لك، وأنّك لو جمعت المليارات من الأموال فلا تملك منها إلّا تصرفه على نفسك وعيالك وما سوى ذلك فليس لك لتعلق حقّ الله والمساكين فيه.

ينبغي للانسان أن يحب لأخيه الغنى والصحة والمقام، وأن يبذل من أمواله ولا يبخل بها، ولا علاقة للبذل بفقر الانسان أو غناه فقد يكون حطّاباً لكنه كريم النفس سخي اليد، وقد يكون غنياً ثرياً وهو حريص.

إن الغرض من بعثة الانبياء والرسل هو اصلاح الانسان وتخليصه من النار، فإن استطاع الانسان أن يتخلّص من النار المشتعلة في باطنه صلح أمره وكان إلهياً، فإن الفساد كل الفساد في هذه المرتبة الحيوانية النازلة، فما ترون من فساد أنظمة الشرق والغرب انّما يرجع إلى فساد متصدّي تلك الأنظمة، فإن صلحت تلك النفوس صلح كلّ شيء، وهذا ما يبغيه الأنبياء من وراء دعوتهم إلى التوحيد وما يريده الاسلام بالخصوص، فليكن المسلم مهذّباً لنفسه بصيراً، فأنه لا خير في مؤمن يكون ساذجاً لا يدري ما يراد به.

* *



﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إلىٰ حِينٍ﴾

الكائنات في خدمة الانسان

انّ آثار جميع الموجودات إلهية وهي في خدمة التكامل البشري، فالأرض وما فيها من معادن وجواهر وذهب وفضّة والنبات الذي يعطي أحسن الثمار كل ذلك من أجل الانسان، وما تعطي الأرض هو من الآثار الطبيعية لها وحسب ما تقتضيه الارادة الإلهية ثم إنّ حركة جميع تلك الموجودات التكاملية من حيوانات ونباتات حركة قهرية بخلاف حركة الانسان التكاملية.

انّ المشكلة تكمن في الاختيار الذي قال الله تعالى فيه: **﴿إنّا هَدَيْناهُ السَّبيلَ إمّا شاكِراً وإمّا كَفُوراً﴾**[1]، فإن هذا الاختيار لم يعطه الله لموجود سوى الانسان، فإنه لا يمكن أن تعطي شجرة الرمان تفّاحاً، لأنها ليست مخيّرة في ذلك، ولا يمكن للأرض أن تقول: الى متى أُخرج ما في بطني من كنوز للانسان؟ وكأن هذا الكلام نظير ما عن الملائكة، إذ قالوا: **﴿أتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾**[2].

*　*

---

(١) الانسان: ٣.

(٢) البقرة: ٣٠.

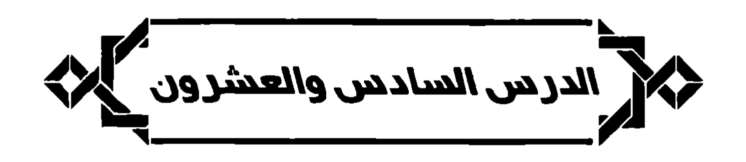
الانسان موجود مختار

ليس الأنسان مجبراً على أفعاله ، لأن الله تعالى أعطاه حق الاختيار لأحد السبيلين إما الحقّ وإما الباطل ، ففي كلّ فعل يقوم به الانسان يوجد أُمور ثلاثة : فعل ، فاعل ، وإرادة تتخلّلهما ، وليس لسوى الانسان ذلك من الموجودات ، فإن كان لبعضها إرادة فهي محدّدة .

فالانسان مختار في حركته إلى الله تعالى أو الشيطان ، وقد ورد عنهم عليهم السلام : «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين»[1]، وما يقال من أن الارادة والاختيار ينتهيان إلى ما لا اختيار له أو إلى ما فيه الاختيار فلا علاقة له بالجبر والتفويض .

❊ ❊

(١) اصول الكافي ١ : ١٦٠.



الدرس السادس والعشرون

﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إِلىٰ حِينٍ﴾

تقدّم أن ما تقتضيه الفطرة الانسانية هو الايمان بالله تعالى والاهتداء إلى سبيل الحقّ والاخلاق الحميدة كالعلم والعدل السخاء وسائر فعل الخير كالصلاة والصيام والاحسان وخدمة النوع البشري ، وكل ما عدا ذلك من الكفر والالحاد والشرور والكذب والمخادعة يكون مخالفاً لمقتضى الفطرة ، فان مقتضى الفطرة السليمة هو ما كان عليه الأنبياء والصلحاء والأولياء عليهم السلام أجمعين .

وفي المقام يمكن بحث عدّة أُمور :

الأمر الأوّل : ما هو مقتضى الفطرة ، هل أنّها تقتضي الهداية والايمان وفعل الخير أم لا ؟

الأمر الثاني : ان حركة جميع الكائنات هي طبقاً لفطرتها .

الأمر الثالث : في ذكر بعض الأفعال التي تخرج الانسان من فطرته الانسانية وتسوقه نحو الحيوانية فيكون مصداقاً لقوله تعالى **﴿إِنْ هُمْ كَالأنعامِ**

بَلْ أضَلُّ سَبيلا﴾[1].

الأمر الرابع: في ذكر الداعي للرجوع إلى الفطرة.

* * *

الفطرة لدى الانسان

وهذا هو الأمر الذي تقدمت الإشارة فيه إلى أن مقتضى الفطرة الانسانية هو الايمان والهداية وفعل الفضائل الاخلاقية وفعل الخير كما عليه الأنبياء والأولياء، قال تعالى: **﴿سُبْحَانَ الّذي خَلَقَ الأزْوَاجَ كُلّهَا مِمّا تُنْبِتُ الأرضُ وَمِنْ أنْفُسِهِمْ وَمِمّا لا يَعْلَمُونَ﴾**[2]، فالمراد من الخلق للازواج ما يعمّ الانسان وغيره، فإن أصل جميع الازواج هو كونها من النبات كالحبوب والبقليات والفاكهة، وعليه يكون أحد أجزاء الانسان من نبات الأرض والجزء الآخر وراثي يتوارثه عن آبائه وهو المراد من قوله تعالى: **﴿وَمِنْ أنْفُسِهِمْ﴾** ولهذا أثر بالغ في سعادة أو شقاء الانسان، والجزء الثالث في قوله تعالى: **﴿وَمِمّا لا يَعْلَمُونَ﴾** والمراد من ذلك الجهة النورية والعقلية الإلهيّة في الانسان.

لو كان منبت الانسان طيّباً، ومأكله ومشربه ليسا محرمين ذاتاً كالخمر ولحم الخنزير، أو عرضاً مثل المال المغصوب أو المسروق، وكانت بيئته التي يزاول نشاطه وأعماله فيها بيئة اسلامية يكون ملزماً بموجبها بعدم ارتكاب الحرام، وكان أبواه طاهرين حينئذٍ يكون مثل هذا الانسان طيّباً طاهراً في الغالب

---

(١) الفرقان: ٤٤.

(٢) يس: ٣٦.

لأن الله أحلّ منبته حيث قال في كتابه العزيز : ﴿كُلُوا مِنَ الطـيِّباتِ﴾[1] ، ولأن أبويه طيّبين الهيين ولا آثار سوء لهما ، ومن جهة أُخرى هو مستنير بنور العقل الإلهي فأثر الطيّب لا يكون إلّا طيّباً وأثر الخبيث إلّا خبيثاً ، فهذا الانسان بهذه الخصائص لا تكون آثاره إلّا طيّبة ، لأنّه لم يرتكب شيئاً من الحرام كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير وأكل المال المغصوب أو المسروق الذي لكل واحد منها آثاره الخبيثة .

انّ الأنبياء والأولياء كلّهم من مواليد الفطرة السليمة فهم طاهر عن طاهر ، لا يأكلون إلّا الحلال ولا يرتكبون الحرام ، وآدم عليه السلام هو الأُسوة في ذلك فإنّه وان غرّه الشيطان بوسوسته لكنه آب وتاب ، وهذا هو مقتضى الفطرة .

❊ ❊ ❊

السير الفطري لموجودات العالم

الأمر الثاني : في انّ الحركة التكاملية لجميع موجودات العالم من النبات والجماد الحيوان كلّها فطرية ، فالشجرة ينبغي لها أن تسير في الاتجاه الذي يريده لها الله تعالى ، فقد أراد تعالى منها أن تعطي للانسان الثمر وان تورق وتعطي الخشب وهي تفعل ما أراده منها ، وهكذا الجمادات من المعادن وغيرها فقد أراد من هذه البقعة من الأرض أن يكون فيها ذهباً ومن تلك البقعة فضّة وفي الثالثة حديداً ، والحيوانات أيضاً لا بدّ من أن تعطي الانسان لحوماً وألباناً ، فحركة الجميع حركة فطرية ، ولكن عندما تصلّ النوبة إلى الانسان يفسد كلّ شيء ، فانّه

(١) المؤمنون : ٥١

لا بدّ للانسان طبق فطرته أن يكون من آل الله فلماذا صار من حزب الشيطان ؟ وينبغي له أن يكون من أهل التقوى والخير والعلم والعدل ، فلماذا صار مجرماً ومن أذناب الشرق والغرب ؟

انّما صار الانسان أشرف المخلوقات لأجل ما أعطي في قبال جميع هذه الموجودات من الاختيار والارادة ، فقيل له : ان شئت كنت من أهل الجنّة أو شئت فكن من أهل النار ، فيقول : كلا أنا من أهل الجحيم ، فإنّي لا أترك العاجل بسبب الآجل ، فيقال له : سوف يأتي اليوم الآجل فإن جاء لا يسعك ان تفعل لنفسك شيئاً .

ان وفّقكم الله لنيل معارفه الإلهيّة سوف ترون بأن الموثّر في عالم المادّة هو الله ، فالكلّ يؤدي دور الآلات ، نظير النجّار فانّه هو الذي يقوم بالعمل لكن بسبب ما لديه من وسائل ، فان الفاعل الحقيقي هو الله ونحن جميعاً آلاته وأدواته .

* * *

الإرادة والاختيار منشأ التكامل البشري

تقدّم انّ حركة جميع الموجودات حركة فطرية تكاملية ، فانّه لا يمكن أن تستبدل الثمار طعم الحلو بالمرّ أبداً ، لكن تجد الانسان يستبدل الطاعة بالمعصية لما انيط به من الاختيار ، ومنشأ تكامل الانسان هو هذا الاختيار ، اذن الفطرة البشرية بنيت على اساس قبول الايمان والهداية ، غير ان الانسان بإرادته وبوسوسة من الشياطين يخرج من حدود الانسانية ، فتجده يطمع في مال فلان ويعتدي على فلان ، فلا تتصوّر أن ما قيل في الفقه بأن المعاملة صحيحة ليس له

أثر سوء ، فإن الذي يعيش على الخدع والمكر سوف يفقد طريق الهداية قـهراً ، وما تجده اليوم من عدوان وظلم يمارسه العالم الثالث انّما لخروجه عن الفـطرة الانسانية السليمة .

❊ ❊ ❊

ما يوجب الخروج عن الفطرة

يتعلّق الأمر الثالث بما يخرج الانسان عـن صـراط الفـطرة ، فـانّه ليس من المعلوم كون الانسان من أول خلقه كـاذباً ومـاكـراً مـثلاً ، بـل الانـحراف انما يكون من داخل بيوتكم ، فـإن الطـفل عـندما يـرى أبـيه يكـذب ويـقول بأنه ليس في البيت في حال انّـه مـوجود ولم يـخرج ، يـتعلم الطـفل الكـذب من أبيه .

انّ أكثركم قد لا يتمكن أن يرى دجاجة تُذبح لكنه عندما يكون لاأُبـالياً يكون القتل بالنسبة إليه أمراً سهلاً في حال أن القـتل وسـفك الدمـاء ليس مـن فطرته ، فالذي يعيش على السرقة لا يمكن أن يكون على فطرته .

وفّقكم الله لمنفعة أنفسكم عن طريق تعاليم الديـن ، فأصـحلوا أنـفسكم وزكّوها ولا تقطعوا ارتباطكم بالله تعالى وعلاقتكم به ، وليس معنى الارتباط بالله هو العزلة عن المجتمع ، بل بمعنى قضاء حوائـج النـاس وحسـن العشـرة لهـم والعيش من الكسب الحلال ولا بدّ أن يكون كـل ذلك خـالصاً لوجـه الله ، لأن السبب في جميع هذه الذنوب عدم الارتباط بالله تعالى .

لابدّ للإنسان أن يحترق بنار المجتمع فان قاوم ذلك وتحمّل تـلك النـار حينئذٍ يتمكّن أن يحيى الأموات ، فان هذا مقام لا يـناله أحـد جـزافاً ، فـالذي

يتهرّب من الابتلاءات لابدّ له أن يبقى في مكانه ، فإذا تحمّل ذلك البلاء وصبر عليه كما صبر الأنبياء والأولياء ووقف نفسه في خدمة مجتمعه حينئذٍ لم يُحرم من المواهب الإلهيّة فإنّه طالما أُلقي على رأس النبي صلّى الله عليه وآله الرماد فصبر على ذلك .

❊ ❊ ❊



الدرس السابع والعشرون

معصية الله والخروج عن الفطرة

ان الذي يخرج الانسان عن الفطرة السليمة هو ارتكاب الذنوب والمعاصي وطاعة الشيطان لاقتضاء الفطرة الايمان بالله والهداية ، ولا فرق في أن يكون الشيطان هوى الانسان نفسه أو ميل ورغبة الآخرين وهواهم ، فانّ كليهما مخرج عن الفطرة ، قال تعالى : **﴿ثمَّ كانَ عاقِبةُ الّذينَ أساؤا السُّوایء أنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ وَكانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ﴾**[1] ، وتكذيب هؤلاء كان نتيجة ما ارتكبوا من الذنوب .

* * *

جهاد النفس والثبات على الفطرة

إذا جاهد الانسان مجاهدة الأنبياء والصلحاء عصمه ذلك الجهاد من الزيغ عن الفطرة لما وعد الله في قوله : **﴿إنْ تَنْصرُوا اللهَ يَنْصُركُم﴾**[2] فإنه لو نصر العبد الله تعالى في اليوم مائة مرّة نصرك الله بقدرها ، وهذا ما عبّر عنه الإمام الحسين عليه السلام بقوله : «**عميت عين لا تراك**» وهذه هداية خاصة غير الهداية العامّة ، وهي لا تحصل إلّا عن طريق الارتباط بالله تعالى ومجاهدة النفس ، وذلك لما وعد به تعالى من نصرة من نصره ، والجهاد هنا أعمّ من القتال في سبيل

---

(١) الروم : ١٠ .

(٢) محمد : ٧ .

الله أو مجاهدة النفس ، فانّ كل من جاهد تكون الهداية حظّه الأوفى .

انّ نصرة الله هي أهم الأسباب التي جعلت الأنبياء يصمدون بوجه الدنيا بأجمعها وبوجه المؤمرات الشيطانية .

انّ من يجاهد النفس ويجاهد في سبيل الله يعرف معنى وجود المبدأ الحقّ ، وذلك حين لا عشيرة تنصره ويكون وحيداً في مقابل الأعداء فيأتيه نصر الله ، ولكن نصرته تعالى مشروطة بالجهاد وإلّا فالانسان محروم من هذه الهداية الخاصة ، وبسبب هذه المجاهدة صمد الأنبياء والأولياء بوجه الدنيا وحفظهم الله من كيد الأعداء ومكرهم .

لا تتصوّر بأن كل ما يميل إليه قلبك يكون فيه خيرك ومصلحتك ، كلّا ، فإن ميل القلب إلى شيء محظور قد يؤدّي إلى النار ، فأنت لا تعلم اين يذهب بك الهوى ، غض النظر عنه ساعة وجاهد في سبيل الله يأتيك نصر الله وتصدق نصرته في حقّك ، فإنه يستحيل أن ينصر الانسان ربّه ولا ينصره الله ، انّ معصية الله توجب الانحراف الفطري ، والجهاد في سبيله يُعيد العلاقة به تعالى ، فترتفع بذلك الجهاد الشبهة والشكّ بوجود المبدأ الحقّ .

* * *

العودة إلى الفطرة

ماذا ينبغي على الانسان أن يفعل ليعود إلى فطرته ؟ تعتبر التوبة والتزكية وتهذيب النفس الطريق الوحيد للعودة إلى الفطرة ، فإن استطاع الانسان أن يزكّي نفسه ويبتعد عن المعاصي والمؤامرات والحسد يمكنه العودة إلى الفطرة ، ويكون حينئذٍ انساناً ، فان عصى أمر ربّه هبط من مرتبة الانسانية فيكون كما قال الله في آدم عليه السلام : **﴿فَأَزَلَّهما الشَّيطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمّا كانا فيهِ﴾**[١].

* * *

---

(١) البقرة: ٣٦.

الدرس الثامن والعشرون

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَبِّهِ كلِماتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ....﴾[1].

لما اخرج الله آدم وزوجه من الجنّة وأهبطهما إلى الأرض تلقى آدم من ربّه كلمات واسماء المعصومين الخمسة واسماء الأئمّة المباركة، وكان التلقي إما عن طريق الإلقاء في الروع أو عن طريق الوحي، فإن هذه الاسماء المباركة خارقة لحجب الظلم والظلام، فإن وجد في العالم نور فهو مستمد من نور أهل بيت العصمة عليهم السلام، فكما أن الشمس تخرق حجب الظلام كذلك هذه الأنوار الإلهيّة تخرق حجب الجهل والظلام، وتزيد صدأ القلوب الذي لا بد من ازالته بمعرفة تعاليم الاسلام والعمل بها.

إن الحكومات المستكبرة على وجل من انتشار الاسلام لأنّه يفضح مخططاتهم وجرائمهم ويوقفهم عند حدّهم، فلا بدّ من الاستضاءة بنور الاسلام ليكون الانسان على وعي تام يمكّنه من درك زيف كلام واعلام القوى الكبرى، فهم الذين يزعمون أنهم حماة البشرية وما حمايتهم إلّا كحماية ودفاع الذئب عن الشاة، لما في نواياهم المشؤمة من تصدير ثقافة واقتصاد الشعوب.

* * *

---

(١) البقرة: ٣٦.

بركات أهل البيت عليهم السلام

يخرق نور أهل البيت عليهم السلام حجب الجهل والظلام ، فهم أصل الحياة وببركتهم وفي ظل وجودهم قام هذا الوجود .

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَبِّهِ كلِماتٍ....﴾ ، فالإلقاء لتلك الكلمات من الله والتلقّي من آدم عليه السلام ، وهذه الاسماء مع مسمّياتها صارت سبباً في نجاة آدم ، بمعنى أن كمال الاسلام وكمال عبودية أهل البيت هما السبب في عودة آدم وتوبته ، فإن أهل البيت عليهم السلام وإن لم يخلقوا بعد حين كان آدم إلّا انّ كيفيّة لقاء آدم بأهل البيت كلقاء الانسان بربّه ، وبذلك نال الكمال في عبوديّته لله تعالى ، لذا ينبغي على الجميع ان يستفيد من هذا التهذيب ومن هذا البيت ، بيت العلم والنبوّة والرسالة ، ولأجل التهذيب خُلق آدم وبأهل البيت عاد إلى فطرته وحاز على الدرجة العالية من الجنة .

وفّقكم الله جميعاً وعرّفكم الاسلام وتعاليمه ، ورزقنا من بركات صاحب الأمر ـ عجّل الله فرجه ـ وألطافه ، وعليكم بدين الاسلام فإنه لا تعاليم كتعاليمه من توحيده إلى آخر أُصوله وفروعه .

❊ ❊ ❊



الدرس التاسع والعشرون

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَبِّهِ كلِماتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إنَّهُ هُوَ التَّواب الرَّحيم﴾[1].

حقيقة التوبة

إذا تاب الانسان من معصيته ورجع إلى ربّه كانت توبته مطهّرة له، وعفى الله عنه وغفر له، وقد ورد في كلام للإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «فإن عُدتُ فعد»، أي ان رجعت إلى المعصية بعد التوبة فعد عليَّ بالمغفرة، والكلام في أنّه كيف يغفر الله للعبد ذنوبه بالتوبة ؟ وكيف يعلم الانسان انّه قد غفر الله له بالتوبة ؟

نقول: التوبة هي عبارة عن التحوّل في نفس التائب، فإنّ آثار النفوس الانسانية انسانية أيضاً، وآثار النفوس الحيوانية حيوانية كذلك، فآثار النفوس الانسانية هي آثار نفوس الأنبياء والأولياء من الخير والصلاح، فلو اذنب شخص عشر مرّات لكنّه في كلّ مرّة يصمم على عدم المعصية ويندم على فعله فليكن على يقين بأن الله قد عفى عنه وغفر له.

---

(١) البقرة: ٣٦.

ان التوبة من الذنوب دليل على المغفرة ، والله تعالى يستجيب دعوة التائبين لكونهم في صفوف الأبرار فتشملهم النصرة والبركات الإلهية ، فإنّه بالتوبة يكون الدعاء مستجاباً والعبد مقرّباً ومؤيّداً ، وهذا معنى العفو والمغفرة الإلهيين . فإن أذنب الانسان ثم تاب يأتيه نصر الله ﴿**إنْ تَنْصرُوا اللهَ يَنْصُركُم**﴾ فيكون التائب بلحاظ طهارته «كيوم ولدته أُمّه» .

* * *

حقّ الناس

هذا فيما يتعلّق بحقّ الله تعالى وأمّا فيما يتعلّق بحقوق الناس فالانسان مؤاخذ عليه بالسؤال الحثيث ، إلّا أن يرضى صاحب الحقّ ، والحقّ سواء كان مالياً أو معنوياً ـ كالغيبة وما يتعلّق بالعرض ـ لابدّ أن يسقطه أربابه بالرضا ، فان كان حقّاً ماليّاً أعطاه أو غير مالي أرضى صاحبه ، وان لم يمكن أحد هذه الأُمور فإن الله تعالى يرضي صاحب الحقّ برحمته حتى يقول : رضينا عنه ، وإن لم يرض صاحب الحقّ فهو مؤاخذ حتى يؤدّي حقّه .

انّ جميع حركات وسكنات الانسان مؤاخذ عليها حتى النظر عن قصد سوء وحركة اليد ونيّة السوء .

انّ التوبة تفتح أبواب الرحمة الإلهية وأبواب الجنّة ، ولهذا الأمر حقيقة وواقع ، ودليله ـ كما قلنا ـ هو تأييده بالنصرة الإلهيّة واستجابة الدعاء ، وهذا دليل على عفوه تعالى ومغفرته ، وأما ترك العبد وإيكاله إلى نفسه فدليل العقوبة والعذاب .

انّ الانسان إذا بلغ من الناحية الجسمية ، فلا يدلّ ذلك على بلوغه في

الأحكام والعلوم الإلهيّة إلّا أن ينصر الله ليؤيّده في نيل ذلك ، ومنزلة بعض العلماء عند الله منزلة الانسان الغير بالغ ، كالعلماء الذين يسهرون الليالي من أجل ابتكار أو صنع جهاز ثم لا يستفيدون من ذلك الجهاز في رضا الله ، فما فائدة ما اتـعبوا أنفسهم وأجهدوا أبدانهم ؟ فإن مثلهم في ذلك مثل الذي يجد مالاً فـي الطـريق فيصرفه في غير رضا الله تعالى .

* * *

الدرس الثلاثون

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُروا نِعْمَتِي الَّتي أنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأوفُوا بِعَهْدي أُوفِ بِعَهْدِكُم وإيّايَ فَارْهَبُونَ﴾[1]

النعمة تتبع الهمّة لدى الانسان

لا تختصّ نعم الله تعالى بأحد من العباد، بل هي تابعة لهمّة الانسان وإرادته، فليس العلم مختصّ بشخص، ونعمة المطر مختصّة بشخص آخر، والحكمة مختصّة بثالث، أو تكون الجنّة لشخص والنار لشخص آخر.

إنّ همّ الناس واستعدادهم يختلف من شخص لآخر، فقد تكون همم البعض عالية فيجمعوا بين العلوم والمعارف الاسلامية وبين المادّيات، وليس للبعض هذه الهمّة ولا ذلك الاستعداد من أجل الاستفادة من هذه النعم، وليس معنى ذلك انّ الله وقف هذه النعم على جماعة من الناس فإن النعم مثل المطر، فلو لم يخرج الزرع فلا قصور في المطر انّما القصور في الأرض.

ان الكُمّل من الناس هم الذين اغتنموا هذه النعم جميعاً سواء كانت مادّية

---

(١) البقرة: ٤٠.

أو معنوية.

لقد كان الأنبياء والأولياء يعبدون الله تعالى ويوحّدونه ونحن إلى اليوم لا نعلم من نعبد هل الله أم الشيطان والهوى ؟

* * *

النفس الحيوانية

هل نعرف حقيقة النفس ؟ ان النفس الحيوانية هي موجود ناري ومبدأ لجميع الشرور والمفاسد في العالم من القتل الى الاعتداء والظلم وغيرها ، فهل يصحّ عبادة مثل هذه النفس ؟ وهل يجوز العمل وفق مرادها ؟ان النفس التي يريد الانسان ان تكون جميع أعماله وفق مرادها هي منشأ الظلمات والنار.

انّه لولا اللطف الإلهي لذهبت الاوهام النفسانية بالانسان المذاهب ، ولأحرقته وقضت عليه ، فالانسان هو نار بنفسه لكنه لا يشعر ، فلولا فضل الله ورحمته لألقت القوّة الوهميّة والتخيّلية بالانسان الى النار ، فعلى الانسان أن يدرك بأن هذا الفضل من الله لا من عند نفسه.

* * *

جميع النعم من الله تعالى

لو تخلّق الانسان بالاخلاق والصفات الحسنة ـ كحسن المعاشرة والعفّة وخدمة المسلمين ـ فليعلم بأن ذلك بلطف من الله شمل حاله ، فلولا فضل الله لكنّا أيضاً من القتلة وسفّاكي الدماء ، فلا ينبغي للانسان أن يغترّ بنفسه إذا كان متخلّقاً بالاخلاق الحميدة ، فانّه لولا حفظ الله ورعايته لفعل الانسان كل فعل قبيح ، هذه هي النفس الانسانية.

ان الاطمئنان النفسي الذي يعيشه المؤمن تجاه حوادث الزمان وتلك الاستقامة هما من الله ، فإن سلب منه ذلك الاطمئنان لكان أسوء حالاً من المجنون ، وهذه الحقيقة لابدّ من التسليم بها ، غير أن الانسان لم يجرّب ذلك بعد ، فعلى الانسان أن لا يغترّ بما آتاه الله من فضله ، وأن لا يشعر بأنه افضل من الآخرين .

ان الانسان إذا كان منذ طفولته انساناً مستقيماً وصالحاً فذلك بلطف الله تعالى ، ولولا ذلك الفضل لبقي مائة عام من الاشرار ، اذن مرجع جميع النعم والبركات هو الله تعالى ، لكن فهم ودرك هذه الحقيقة صعب جداً .

وفّقكم الله لمعرفة هذه الحقائق لتعلموا أن كل ما يملكه الانسان هو من الله **﴿فَلَولا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم وَرَحْمَتَهُ لَكُنْتُم مِن الخاسرين﴾**[1].

انّ الانسان إذا كان من أهل التزكية والتهذيب ، وكان يعرف نفسه والنار المخبوئة والمستورة فيها ، ولا يغترّ بنفسه فيقول بأنه انسان صالح ، حينئذٍ يعلم بأنه إن كان صالحاً فمن الله تعالى ، لأنّه إن سلب ذلك منه لكان ناراً محرقة ، ذلك أن **﴿اللهُ وَليُّ الّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُلُماتِ إلى النُّورِ﴾**[2].

* * *

اغتنام النعم

لما علمت أنّه لا إختصاص للنعم الإلهية بأحد من الناس وأنها تابعة لاستعداد الانسان و مدى همّته ، وأن البعض يكتفي بالمادّيات منها كالأكل والشرب من دون علم منهم بأن ذلك يؤدّي الى ظلمة النفس وأنه لا يكون بذلك

---

(١) البقرة : ٦٤.
(٢) البقرة : ٢٥٧.

انساناً ، ولا تكون عباداته عبادة لله ، لأنه كان عبداً للشيطان وهو لا يعلم .

ان للبعض استعداد وهمّة عالية تمكّنهم من اغتنام النعم الإلهية من العلم والاخلاق ومعرفة النفس وجميع المادّيات ، وللبعض الآخر همّة ضعيفة فيكون كالحيوان همّه علفه ، تجده يذهب اينما كان الماء والكلأ ، أفلا ترى ما للأنبياء من علوم وقدرة يحيون بها الأموات ويجعلون النار برداً وسلاماً ؟

قال علي عليه السلام في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله : «**ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن ان كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالَم ليله ونهاره**»[1] ، ولم ينل ذلك رسول الله صلى عليه وآله بسهولة فهو من تلك الشجرة التي قيل فيها : «**اشهد أنّكم كنتم نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة**» ، لقد كانت الملائكة تتعاهد هذه الشجرة دائماً .

إنّ الانسان لا يشكر هذه النعمة العظمى لأنّه يعتقد انّ جميع الكمالات كامنة في المادّيات ، ولا يعلم أن الخير والقدرة بيده تعالى ، قال تعالى : ﴿**بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٍ**﴾[2] ، رزقنا الله جميعاً همّة عالية ولياقة اغتنام نعمه .

❊ ❊ ❊

نار أم نور

لو لم تكن هذه النعم الإلهيّة لكنّا بمثابة النار ، ولكانت النار معنا حتى في

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٩٢ .
(٢) آل عمران : ٢٦ .

عالم البرزخ ، فإن وفّق الانسان الى رحمة الله لكان وجوداً نورانياً يستضيىء به في الدنيا وفي البرزخ يكون له سـراجاً وهّـاجاً ، وهـذا لا يـتيسّر إلّا بـالطاعة والاخلاص لله تعالى في العبادة ، فإنّ الصلاة الصورية تجعل من الانسان شيطاناً نارياً ، ولذا على الانسان ان يعلم بأنّ التظاهر في العبادة لا يجرّ النـفع للانسـان فحسب ، بل فيه ضرر ووبال عليه ، فعليه أن يوزن أعماله ليرى هـل انّـها لله أم لغيره ؟ فإن كانت من أجل أن يثير بها انتباه الآخرين فقد خسر خسـراناً مـبيناً ، وسوف يكون وجوده وجوداً ظلمانياً .

وفّقكم الله جميعاً للاستفادة من هذه النعم الإلهيّة المادّية منها والمعنوية ، فانّها لا تختصّ بأحدٍ من الناس ، بل الانسان لضيق اُفقه يجعلها مختصّة بـفلان وفلان ، ثمّ انّ الانسان بحاجة الى روحانية ومعنوية الى جنب اُموره المادّية .

* * *



﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[1]

مراتب الاستفادة من النِعَم

تنتفع الأرض بسبب تسخير الليل والنهار من الشمس والقمر ، وتنتفع النباتات من وجود الأرض ، ويتنفع الحيوان من النباتات ، والانسان يتغذّى من الجميع ويتنفع بمنافعها .

انّ لانتفاع الانسان بلحاظ المادّيات والمعنويات مراتباً كثيرة ، فالبعض ينتفع بها بجميع مراتبها ، فيكون لهم شهوداً للملائكة وسماعاً للوحي الإلهي الغيبي ، فتجدهم ينتفعون بالعلم والقدرة الالهيين ، فإنّ تلك العلوم ليست كعلومنا ، بل هو العلم الذي عبّر عنه النبي صلى الله عليه وآله : «اللهمّ أرني الأشياء كما هي» وعلى حقيقتها ، وهذه هي علوم الأنبياء .

قد لا يصدق الانسان بأنه منشأ هذه الشرور والمفاسد والضلال ، وذلك فيما إذا أوكل الله الانسان إلى نفسه ، فانّه سوف يكون في ذلك خذلانه وضياع جميع البركات والنعم ـ المعنوية ـ وفقدانه للاطمئنان النفسي ، ذلك انّ جميع النعم المادية والمعنوية هي لله تعالى ، فالشمس والقمر هما من الله ، إذ لولاهما لما وجد نبات ولا شجر ولا طعام ، ولولا الهواء لمات الخلق عن بكرة أبيهم ، وكلّ ذلك هو

---

(١) البقرة : ٤٠ .

من نعم الله ، إذ لو أوكلنا الله الى انفسنا لصرنا أشبه بالمجانين .

* * *

الفرق بين الانسان والحيوان

وهذه الاستفادة والانتفاع بالنعم يكون بحسب لياقة الانسان وهمّته ، وإلّا فإنّ الحيوان أيضاً ينتفع من هذه النعم لكن بحسبه ، فإن انحصرت المنفعة بالمادّيات لا يكون حينئذٍ بين الانسان والحيوان فرق ، أذ **﴿مَا مِنْ دابَّةٍ إلّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَودَعَها كُلٌّ فِي كتابٍ مُبينٍ﴾**[1] .

انّ كلّ موجود في هذا العالم هو بحاجة الى طعام وغذاء ، وغذاء الانسان أفضل الغذاء ، فلو لم يكن الانسان مطيعاً لله يكون أسوء المخلوقات وأضلّها ، فإن الانسان إذا انقطعت صلته والعروة بينه وبين ربّه يكون أكثر وحشية من كلّ حيوان .

إنّ العالم مشترك في منافعه بين الانسان والحيوان ، فإن استفاد من هذه المنافع كما يستفيده الأنبياء والأولياء ـ انتفاعهم من العلم والقدرة الإلهيين وكذا الاخلاق الكريمة ـ كان بينه وبين الحيوان فرقاً شاسعاً ، وكلّ ذلك يتبع همّة واستعداد الانسان .

* * *

في الحركة بركة

لقد وضع الله تعالى جميع النعم بلا حدٍّ ولا حصر في اختيار الانسان وتحت إرادته، غاية الأمر ينال الانسان منها حسب مواهبه وهمّته ، حتى الأنبياء فإنهم ينالون من تلك النعم حسب هممهم ولياقتهم ، فإن أعلى مراتب الانتقاع من هذه النعم هو الانتفاع المادّي والمعنوي ، فإننا لا نعرف ما هي حقيقة الملائكة ولا

---

(١) هود : ٦.

حقيقة الجن ، لكن النبيّ صلّى لله عليه وآله كان يعلم حقائق العالم بأسره ، فقد كان يتكلّم مع الملائكة والمقرّبين ، فإن شهوده يختلف عن شهودنا ، لأنّ شهوده كان لعالم الأرواح والبرزخ ويوم القيامة ، فهو يعلم ما يجري علينا قبل الف وأربعمائة عام ، رزق الله الجميع من بركات تلك العلوم والمعارف الإلهيّة ـ وكلّ ذلك يتوقّف على همّة الانسان ولياقته ، وان كانت الهمّة والاستعداد من بركاته تعالى أيضاً ـ.

* * *

نزاهة البيئة تُعدّ ارضية التكامل

لا توجد الهمّة في الانسان بنفسها ، بل لها عوامل وأسباب ، منها : أنّ منشأ الطهارة من البيوت الصالحة ، فكل بيت تقام فيه شعائر الله يكون أهل ذلك البيت من عباد الله حقاً ، ويكون لأبناء ذلك البيت همم عالية واستعداد أكثر ، وإن كان مرجع تلك الهمّة الى الله وأنها من نعمه ، فإنّه حتى النبي كانت نعمه من الله وذلك قوله تعالى : **﴿أَلَم نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الّذي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ﴾**[1] ، فأنا لا أقول لتكن لكم همّة رسول الله صلّي الله عليه وآله ـ ولا يكون ذلك ـ لكن أقول : ان لم تكن لكم همّة الأنبياء والأولياء فلا تفقدوا همّتكم الخاصّة بوضعكم ، فانّ لكلّ انسان همّة ، فمن أجل أن تكونوا عباداً صالحين لا تفقدوا هذه الهمّة ، ولا تفقدوا نعمة الشباب فإن جوارح وأعضاء الانسان لا تبقى على قوتها وشكلها دائماً ، فإنّه سوف يأتي عليكم زمان لابدّ فيه من أن يأخذوا بأيديكم ويرفعوكم من مكانكم .

اغتنموا شبابكم في طريق الحقّ ، وأعيروا أعضاءكم وجوارحكم لله وفي سبيله ، اسهروا لياليكم في الطاعة لتكون زاداً لكم في الآخرة ، وليكن سيركم

---

(١) الضحى : ١ ـ ٤ .

التكاملي بحسب قدرتكم واستطاعتكم ، فانّه ليس من حقّ أحد أن يقول : نحن لسنا بأنبياء ، ولسنا كعلي عليه السلام ، لكونه الى حدٍ ما يمكنه أن يكون أفضل من الحيوانات بقدر همّته واستعداده ، وهذا الأمر يكون أكثر تيسّراً بالنسبة لمن يتربّى في بيوتات صالحة لتوفّر الكثير من المقدّمات لتكامله ، لأنّه أقرب من غيره الى الله ، فهؤلاء على قربهم لابدّ أن تكون عجلة حركتهم أقوى وأشدّ من حركة غيرهم .

انّ الذي يترعرع في بيت غير صالح يكون طريقه أعسر وجهده وجهاده أكثر وأوفر ، فلا ييأس من رحمة الله ، وعلى الجميع أن يأملوا بالله خيراً .

انّ لدعاء الآباء والأجداد الصالحين في حقّ أولادهم الأثر البالغ في توفيقهم ، كما أنّ جهاد الذين يتربّون في بيوت فاسدة يكون آكد ، وان كان تقرّب من يترعرع في بيت عبادة وتهجّد واجتناب للمحرّمات أكثر بمراتب ، وهذا بخلاف الطفل الذي يكون أبوه شارباً للخمر وأُمه منحرفة فإن أمره يكون مشكلاً ، إذن على الذين يتربّون في بيوت صالحة شكر هذه النعمة الوافرة التي صارت سبباً في سعادتهم .

وفّقكم الله لإغتنام فرصة صيام شهر رمضان ، فإن رأيتم بعد انتهاء الشهر المبارك أنّ وضعكم النفسي والعبادي تغيّر ـ بعد إقامة الصلاة والصيام وترك المحرّمات ـ فاعلموا أن صيامكم كان مقبولاً ، وإلّا فان كان وضعكم بعد الصيام كالسابق بأن كانت المحرّمات هي المحرّمات والكذب هو الكذب فاعلموا أنّكم لم تتحمّلوا من الصيام غير الجوع والعطش ، أسأل الله لكم قبول عباداتكم إن شاء الله .

❊ ❊ ❊

الدرس الثاني والثلاثون

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الحقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتمُوا الحقَّ وأنْتُم تَعلَمُونَ﴾[1]

مدى ادراك الانسان

آثار ومدرَكات النفس:

الأوّل: النفس، وهي التي تدرك عالم المادة والطبيعة.

الثاني: النفس الزكّية من الرذائل، ولهذه النفس مراتب تبدأ التزكية فيها من المرتبة الدنيا الى المرتبة العليا، وهي مرتبة الكمال في التزكية، تلك المرتبة التي بلغها النبيّ صلّى الله عليه وآله، ومن مدرَكات النفس الزكية هو إدراكها للعلوم والمعارف الإلهيّة من التوحيد والمعاد والأخلاق، فإن أراد الانسان أن يعرف حقيقة هذه العلوم وانّ للعالم مبدأً واحداً لابدّ أن يزكّي نفسه أولاً، وأن يضع قدمه في طريق الأنبياء والقادة الإلهيين، وإلّا فلا يمكنه ان يدرك هذه المعارف الحقّة، وأما انّه هل النفس الزكية هي العقل، وأنّ العقل مرتبة من مراتب هذه النفس أم لا؟ فهذا خارج عن محل بحثنا، لكن يمكن أن يكون العقل مرتبة من مراتب

---

(١) البقرة: ٤٢.

النفس الزكية .

* * *

موانع إدراك الحقائق

انّ رذائل النفس تمنع من إدراك الحقائق كما هي ، فلو زُكّيت النفوس ممّا يعرضها من الرذائل[1] لنطقت بما نطق به عيسى عليه السلام ، إذ قال : **﴿إنّي عَبدُ اللهِ آتانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَني نَبِيّاً﴾**[2] ، فأنقذ أُمّه ممّا اُفتري عليها ، إذ قالوا لها : **﴿يا أُخْتَ هارُونَ مَا كانَ أبُوكِ إمْرَءَ سَوْءٍ وَمَا كانَتْ أُمّكِ بَغِيّاً﴾**[3] ، فنطق الصبي فقال : **﴿إنّي عَبْدُ اللهِ﴾** لا عبد الشيطان ، فتكلّم بكلام برء به اُمّه ممّا افتري عليها .

* * *

التزكية تُعدُّ أرضية الإدراك

إنّ على من يريد إدراك معارف الاسلام أن يجاهد في سبيل الله ، وأن يزكّي نفسه من رذائل الاخلاق ، فإن بلغ الانسان قمّة الكمال في التزكية حاز حينئذٍ على الكمال العقلي[4] وأدرك الحقائق كما هي لزوال الحجب ، وقد تتغيّر حواسه الظاهرية فيكون بصره وسمعه غير بصرنا وسمعنا ، فقد سمع رسول وبعد ما يقرب من ألفي عام محاورة يوسف وزليخا ، ورأى صلى الله عليه وآله وهو على منبره في المدينة ما يجري في غزوة مؤتة ، وشاهد على بُعد شهادة جعفر ، وقيل : بأن

---

(١) وان كانت هذه التزكية موجودة في اصلاب الرجال وأرحام الأمّهات .

(٢) مريم : ٣٠ .

(٣) مريم : ٢٨ .

(٤) ورد في الحديث عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال : «أول ما خلق الله العقل» ، وقد فُسّر العقل الأول بالنبيّ صلّى الله عليه وآله الصادر الأول . بحار الأنوار ١ : ٩٧ .

ابن سينا كان حاد البصر حيث كان يرى الى أربعة فرسخ .

وقد يسمع الانسان يوم القيامة صوت الذي كان في عالم الدنيا عندما يعرض عليه ويقال له : أتعرف هذا الصوت ؟ إنّه صوتك ، فلا طاقة لك على الإنكار ، اذن التزكية شرط إدراك الحقائق وفهم كلمات النبيّ والائمّة المعصومين عليهم السلام .

* * *

درجات ومراتب الإدراك

قد لا يفهم الانسان مراد كلامه تعالى على حقيقته لاختلاف النفوس ومراتب التزكية لها ، فالمراد من قوله تعالى فيما يتعلّق بفهم القرآن : **﴿لَا يَمسَّهُ إلّا المُطَهَّرُون﴾**[1] هو فهم الحكماء وذوي النفوس الطاهرة ، وغير ذوي النفوس الزكية لا يفهمون القرآن ، فما لم يزكِ الانسان نفسه من رذائل الاخلاق ويكون طاهراً لا يمكنه أن يدرك حقائق القرآن لقوله تعالى : **﴿لَا يَمسَّهُ إلّا المُطَهَّرُون﴾** ، وقد يراد من الطهارة هي الطهارة من الأقذار المادّية لا المعنوية ، وهو أيضاً صحيح .

وأمّا الطهارة في قوله تعالى : **﴿إنّمَا يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُم الرِّجسَ أهْلَ البيتِ وَيُطَهِّركُم تَطْهيراً﴾**[2] ، فالمراد بها الطهارة المعنوية من رذائل الاخلاق ، والطهارة بهذا المعنى تختلف عنها بمعنى كونها تطهّراً من الاقذار المادية ، فقد يجاهد الانسان نفسه خمسين عاماً ليطهّرها فلا يتمكّن ، لكن تطهير الجوارح من الرجس لا يستغرق وقتاً كثيراً ، ولذا فالمراد من أهل البيت في الآية هم الأئمّة

---

(١) الواقعة : ٧٩.
(٢) الأحزاب : ٣٣.

عليهم السلام لبلوغهم قمّة الطهارة المعنوية .

ثم إن الزكاة نوع من أنواع تطهير النفس لصريح قوله تـعالى : ﴿**خُـذْ مِـن أمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرهُمْ وَتُزَكّيهمْ بِها وَصَلِّ عَلَيْهِم**﴾[1] وعليه فلا يمكن أن يقال بأنّ الطهارة استعملت في أكثر من معنى ، كلّا بل هو مفهوم واحد اندرجت تحته مصاديق كثيرة :

منها : الطهارة من النجاسات .

ومنها : الطهارة من الأرجاس والأدناس من الشرك وغيره .

ومنها : الطهارة من الحدث .

ومنها : طهارة المال بسبب إداء الزكاة .

وفّقكم الله لتزكية نفوسكم وتهذيبها ، فانه لا تُدرك الحقائق إلّا بها ، وهذه هي الجامعة التي يكون معّلمها هو الله الذي يريد تزكيتكم وتطهير نفوسكم .

* * *

---

(١) التوبة : ١٠٣ .



﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَّلاةِ وَإنَّها لَكَبيْرَةٌ إلّا عَلىٰ الخَاشِعينَ﴾[1]

طريق الكمال

لابدّ للانسان أن يستعين في تزكية نفسه ـ ليصل الى الكمال المنشود والقرب الإلهي ـ بأمرين :

الاول : الصبر .

والثاني : الصلاة .

فالصبر من أجل أن يملك الانسان هوى نفسه الأمّارة بالسوء ، فهو وسيلة لتهذيب النفس ليصونها الانسان من وساوس الشيطان ـ الداخلي والخارجي ـ ويحفظها من ارتكاب المحرّمات ، ويصبّرها على الطاعة ، إذن ومن أجل طي طريق الكمال ونيل درجة القرب الإلهي لابدّ من الصبر والصلاة .

* * *

(١) البقرة : ٤٥ .

معراج المؤمن

وأمّا الصلاة ، فهي معراج المؤمن الواقعي نحو إدراك الحقائق ، وأمّا لماذا لا تعرج النفوس ولا تتحرك في صراط الله تعالى ولا تتقرّب إليه ؟ وكيف تجتمع الصلاة مع الاعتداء والقتل والتزوير ، والحالة السبعية ؟

أقول : ما ذلك إلّا لعدم كونه صادقاً في صلاته ، لانّه لو كان صادقاً لتمكّن من العروج ، فقول الانسان في الصلاة : **﴿إيّاك نَعبُدُ وَإيّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** بمعنى التسليم الى الله لا الى هوى النفس والشيطان ، فهذه الحركة التكاملية مطلقة غير مقيّدة بالعبودية لشيء غير الله تعالى ، فالنفس انّما تكون حرّة إذا كسرت قيود عبودية غير الله ، وهذا معنى حرية النفس ، أي ان الانسان لايطلب الاستعانة ولا يمدّ يد الفاقة لسوى الله ، وكمال الانسان بنيل هذا المقام حينئذٍ يكون الانسان صادقاً فيما يقول ، فما ورد في صلاة الإمام الثاني عشر عليه السلام من تكرار قوله تعالى : **﴿إيّاكَ نَعْبُدُ وَإيّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** انّما لأجل أن يعرج الانسان بذلك ، فلو كرر ذلك مائة مرّة وكان كاذباً فيما يقول لنكس على رأسه مائة مرة .

*　*　*

عظمة الصلاة

قال تعالى : **﴿وَإنّها لَكَبيرةٌ إلّا عَلىٰ الخَاشِعينَ﴾** ، ليست عظمة الصلاة في انّ أوّلها تكبير وآخرها تسليم وما يتخلل ذلك من أفعال وأقوال ، فإن ذلك يتمكّن منه حتى الطفل الصغير ، وكونها كبيرة إنّما هو من أجل انّها دعوة الى التوحيد والاخلاص في العبودية ، وإلّا فقد يصلّي الانسان عشرين سنة ومع ذلك يكون مشركاً ، ذلك أن عروج الانسان عبارة عن امتزاج التوحيد العملي مع

التوحيد النظري الذي يتلخّص في الانقطاع عما سوى الله والعبودية له وحده، وهذا الطريق هو غاية ومنتهى ما يمكن للانسان سلوكه وهو منتهى الكمال، والغرض من رسال الرسل هو إكمال هذا الجانب، إذ كان معتمدهم وتوكّلهم في دعوتهم على الله تعالى وحده، فحازوا على مقام القرب الإلهي فأحيوا وأماتوا بإذن الله، أنت أيضاً لو نلت هذا المقام لأحييت وأمتّ.

فالصلاة سبب في العروج، لكن الانسان غافل عنه، لأنّ الطريق الذي سلكه الأنبياء معبّد يمكن أن يسلكه غيرهم، غاية الأمر أنّ همّة الانسان قاصرة عن سلوك طريقهم عليه السلام، فانّه متى ما بلغ الانسان تلك المرتبة من الكمال يغضّ الطرف حينئذٍ عمّا سوى الله.

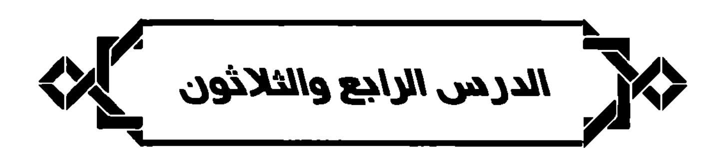
لو عرف الانسان معنى كلمة التوحيد لاعتزل الخلاف والفرقة ولشاع العدل في المجتمع، فالصلاة كبيرة، لأنه من الصعب أن يؤدّيها الانسان على الوجه المطلوب الذي يرضي الله تعالى.

* * *

العذاب الإلهي

لو سلب الله تعالى جميع ما أنعم به على الانسان من الكون لتكوّر كل شيء، ولفنىٰ العالم بأسره من الأرض والسماء وجميع الكائنات، وليس ذلك بظلم منه تعالى، لأنّه هو الذي أعطى وأقنى، وهو الذي يأخذ ويمنع، لكن الحياة تستحيل بعد ان يمنع الله تعالى فيضه ويكون ذلك أشبه بالعذاب الذي لا يشعر بمرارته إلّا من خاف مقام ربّه.

* * *



الدرس الرابع والثلاثون

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبرِ وَالصَلَاةِ وَإِنَّها لَكَبيْرَةٌ إلّا عَلىٰ الخَاشِعِينَ الّذينَ يَظُنُّونَ أنّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأنَّهُمْ إليه رَاجِعُونَ﴾[1]

البلاء يُعدّ أرضية الكمال

لو أراد الانسان السير بالنفس من النارية الى النورية وأراد تربيتها تربية إلهية لابدّ أن يروّضها على الصبّر والصلاة لتتمكّن من مقاومة الابتلاءات والحوادث في العالم، لكون الدينا «دارٌ بالبلاء محفوفة»[2] كما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام، فلا أحد في أمان من ذلك البلاء، وليس هناك من طريق سوى الصبر عليه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّا معشر الأنبياء أسرع شيءٍ البلاء إلينا، ثمّ الأمثل فالأمثل من الناس»[3]، فاذا صبر عليه الأمثل كان البلاء رافعاً لدرجته، وليس الترف مهذّباً للانسان كما في البلاء ذلك، لأنّ الطريق إذا كان مفتوحاً للانسان لاتكون حركته ـ في ذلك الطريق ـ ذات أثر بالغ في بنائه

---

(١) البقرة: ٤٥ـ٤٦.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٦.
(٣) بحار الأنوار ١٢: ٣١١.

وتهذيبه ، وامّا إذا صبر على البلاء سوف يكون البلاء سبباً في تـهذيبه وبـنائه ، فيصنع منه انساناً ، لأنه يزداد الى علمه وتجربته جرّاء ذلك البلاء علماً وتجربة ، وتنحلّ الكثير من مشاكله في الحياة بالصبر والصلاة .

❊ ❊ ❊

الصلاة والتوحيد

إنّ للصلاة عظمة وكبرياءً وقد صفها الله تعالى بأنّها كبيرة ، لكن لا صلاتنا هذه ، بل الصلاة التي تؤدّي الى عروج صاحبها ، الصلاة النـاهية عـن الفـحشاء والمنكر ، والصلاة التي تكون سبباً في قرب الانسان من التقوى .

فالمصلّون كثيرون ، ولكن الصلاة التي تكون عبادة الله تعالى فيها خالصة لوجهه ، والتي يكون الانسان فـيها مـوحّداً قـليلة جـداً ، لأن حـرّية الانسـان بتوحيده ، التوحيد بأعلى مراتبه بحيث : ﴿**لَا يَخْشَونَ أحَداً إلّا الله**﴾[1] كما وصف الله بذلك نبيّه الكريم صلوات الله عليه ، وعدم الخشية لأحد إلّا الله من آثار الصلاة ومن هنا تجد الأنبياء اعلنوا دعوتهم إعلان رجل واحد .

اسأل الله تعالى تـوفيقكم لمـثل هـذه الصـلاة التـي تـجعلكم مـوحّدين بإخلاص لا تخافون أحداً إلّا الله .

❊ ❊ ❊

عروج الانسان

ان الصلاة هي العروج الذي فيه كمال الانسان ، وأن هذا العروج هو غـير

---

(١) الأحزاب : ٣٩.

صعود رجال الفضاء الى الفضاء الذي نراه بل العروج الذي يتحقّق في الصلاة هو الوصول الى حدٍ لا يشرك بعبادة الله احداً بأن لا يعبد هواه ولا هوى غيره .

لو ابتعد الانسان عن شيطان نفسه وكان لا يتوكّل إلّا على الله تكون صلاته حينئذٍ كبيرة ، لأنّها تعرج به الى حدٍ يكون في غنى عمّا سوى الله ، و بهذه الصلاة تنفتح أمام الانسان آفاق كثيرة .

فالصلاة هي من أجل العروج ، ولذا فانّه لا بدّ لكلّ انسان من نصيب في هذا العروج الذي عرج به الأنبياء والأولياء ، فلا ينبغي لأحد أن يتصوّر بأن العروج مختصّ بالأنبياء ، كلاّ ، نحن أيضاً بإمكاننا العروج لكن بشرط أن نكون من عباد الله المخلصين ، وأن لا نشرك بعبادة ربّنا أحداً ، فلا تتصوّروا بأن أهل مكة فقط كانوا من عبدة الأصنام ، نحن أيضاً إذا عبدنا هوى أنفسنا كنّا من عبدة الأصنام ، غاية الأمر صنمنا هو الهوى .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**قرّة عيني في الصلاة**»[1] ، والمراد من الصلاة هنا هي الصلاة المعراجية التي تمكن الانسان أن يقف بوجه الكفر ويعلن صرخته ويقول : «**والله لو وضعتم الشمس بيميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته**» لأنّكم جهلة بهذا الأمر ، وليس لديكم البلوغ الكافي لإدراك حقائق الاسلام ، فالبلوغ ليس في تقدّم العمر ، فقد يكون عمر الانسان مائة عام وليس ببالغ بلوغاً فكرياً ونضوجاً عقلياً ، البلوغ هو إدراك حقائق الاسلام ، فان الاسلام ، ليس شعار بل حقيقة ، لا ينالها نائل إلّا وعرف انّها بمثابة الجوهرة .

❊ ❊ ❊

---

(١) ميزان الحكمة ٥ : ٣٦٧.

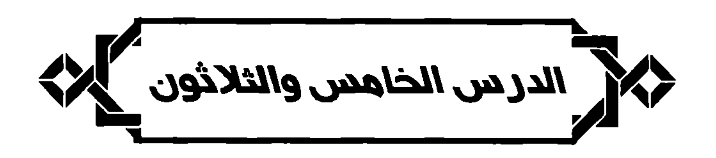
الخاشعون لله تعالى

انّ معنى الايمان هو خوف المؤمن من الله لا من أحد سواه ، وأمّا نحن فلا نخاف الله ولا ندري ما حقيقة العذاب كما يعلمها أُولئك المؤمنون ، فعذاب الله لا يضاهيه عذاب الدنيا بجميع ضروبه ، لأن عذابه في الوقت الذي يكون فيه عذاباً ليس ظلماً ، لأنه تعالى يقول للعباد : «**سلبت عنكم نعمتي ، فاذهبوا أنتم الأحرار**» ، فلو سُلبت جميع النعم من العباد ـ وهذا أمر لا يطاق ـ لآل أمر كل شيء الى الفناء والعدم.

وأمّا الخاشعون فهم المعتقدون بالمعاد واليوم الآخر وأن هناك نشأة غير هذه النشأة ، وانّ ذلك اليوم هو يوم الجزاء والحساب ، اليوم الذي يحاسب فيه الانسان على طرفة عينه ، فهل يصحّ أن لا يكون حساب ؟

إنّ فائدة الحساب هي كون الانسان على حذر دائماً ، فما ترى من جلوس بعض الناس من الصباح وحتى الليل يشتغلون بالغيبة والنميمة وإشاعة التهم ، انّما هو لأجل عدم خوفهم من الله ، فإنهم لو عرفوا بأن أعمالهم تعرض على الله وأنّهم يؤاخذون على كلّ واحد منها ـ فيقال لأحدهم : لما اغتبت الناس ؟ ولماذا وجّهت التهم لفلان ؟ ولماذا أسقطت فلاناً من أعين الناس ؟ لما فعلوا ذلك ، فإنّ الخوف من الله لا يعدله خوف أبداً .

* * *



﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1]

العلوم الإلهيّة

انّ جميع النعم هي من الله لأنّ الشياطين لا يخلقون هذه النعم، لعجزهم عن خلق ذبابة، وهذه النعم سواء كانت مادّية أو معنوية لا تختلف في كونها نعماً إلهيّة من الانسان الى الحيوان، فإن كان التصرّف بهذه النعم إلهياً وبالشكل المرضي لله تعالى كان ذلك هو الكمال المنشود، نظير علوم الأنبياء عليهم السلام أجمعين، فإنّ علومهم الإلهيّة قد ملأت الآفاق، وما لها من آثار أيضاً تكون إلهيّة، انّ هذه العلوم الإلهية لا تتأتّى لكلّ أحد إلّا عن طريق العبودية وتهذيب النفس وتزكيتها، ومن هنا أعطى الله العلوم لأنبيائه والائمّة المعصومين عليهم السلام.

لقد أعطى الله نبيّه صلوات الله عليه ينابيع العلم والحكمة، ومن ثم وصلت إلينا، ونموذج ذلك ما نتدارسه من علم الفقه والاخلاق والتوحيد والتفسير فانّ

(١) البقرة: ٤٧.

هذه جميعاً هي من العلوم الإلهيّة ، وهذا نزر يسير وصل إلينا من علم النبيّ والائمّة الذي أفاضه الله عليهم لمقامهم عند ربّهم ، ولذا صاروا أعلام هداية البشرية .

* * *

زهد الأنبياء وسيرتهم

إنّ الأنبياء لم يطالبوا الناس بالأجر في مقابل التعليم والهداية ، فقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : ﴿انّ أجرِيَ إلّا عَلَىٰ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[1]، وهذا يدلّ على المقام الرفيع للعلم الذي لا يمكن التعويض عنه بالأجر المادي ، وأمّا بالنسبة الى وضعهم المعيشي فهم يعيشون في أدنى حدّ يعيشه أبسط الناس ، فهم لم يكونوا من أهل الزينة والرفاه لاعتقادهم أن ذلك من سيرة الملوك والجبابرة ، فالبساطة في العيش والزهد كان طاغياً على حياتهم ، لعلمهم بأنّ كلّ ما في أيديهم عارية لديهم .

* * *

في محضر المعلّم الاول

إنّ العلم يفيضه الله على الأنبياء ومن ثمّ ينتقل الى الناس عن طريق تعليم الأنبياء الناس ، فما أجمل أن يكون الانسان تلميذاً للأنبياء ، انّ الناس بعد رسول الله كلّهم تلاميذ ليس فيهم استاذ ، وقد قسّم أمير المؤمنين الناس الى ثلاث فقال : «**الناس ثلاثة : عالم ربّاني ، ومتعلّم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع**» وهذا القسم الثالث من الناس كثير ، وأمّا القسمين الأوّلين فهم على سبيل نجاة ، لأنّ الأول هم

(١) الشعراء : ١٠٩ .

الأنبياء ومعلّمي البشرية ، والقسم الثاني هم المتعلّمون على سبيل نجاة ، والباقي «همج رعاع اتباع كلّ ناعق ، يميلون مع كلّ ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق»(١).

انّ العلم موهبة من المواهب الإلهيّة ، فالعلم الذي يصل الى الانسان بلا واسطة لم يبعه بثمن زهيد ، ولا يستفيد من وراءه مادياً ؛ لأنّ في هذا العلم الهداية ، قال الله لبني إسرائيل : **﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾** ، فقد أعطيتكم نعماً مادّية ومعنوية وافرة ، جعلت أرض القدس تحت تصرّفكم ، وبعثنا لكم الأنبياء تترى ، لكن الانسان إذا لم يكن أهلاً لتلك النعم تجده كلّما تفضّل الله عليه ليكون خاضعاً لإرادة الله لا يزداد عن الله إلّا بُعداً ، وهذا ما يحتاج الى فهم خاص ، فانّه ليس كلّ أحد يدرك ذلك ، قيل لقارون : **﴿ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدارَ الآخِرةَ ... وأحْسِنْ كَمَا أحْسَنَ اللهُ إلَيْكَ ... قَال إنَّمَا أُوتِيتَهُ عَلى عِلمٍ عِندي﴾**(٢).

انّ الأنبياء والصلحاء دائماً يفكّرون في خير وصلاح الأُمّة ، فهم ليسوا كالطواغيت الذين كلّ همّهم فتح البلاد وحرق العالم بالنار ، فلو كان الحاكم على البلاد والعباد رجل مثل علي بن أبي طالب عليه السلام أو مثل صاحب الزمان عليه السلام لكان الضعفاء والمحتاجون بخير .

* * *

(١) نهج البلاغة : الحكمة ١٤٧ .
(٢) القصص : ٧٧ .

الدرس السادس والثلاثون

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1]

النعم المعنوية

جميع النعم المادّية والمعنوية منه تعالى ، فالمادّية منها عامّة ينتفع بها البرّ والفاجر، المؤمن والكافر ، بل جميع الحيوانات والكائنات الحيّة ، وهذه النعم المادّية لا تحتاج إلى سعي وطلب ، بل الله يرزق ولو لم يسعَ الانسان لطلبها ، «يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه» ، فإن من لم يعرفه هو الكافر لكن مع ذلك تشمله النعم الإلهيّة المادّية فقط ، وان لم تكن تنحصر نعمه تعالى بها ، بل تعمّها وغيرها من النعم ، غير أن الكفار لا نصيب لهم من النعم المعنوية كنعمة الدين والولاية والايمان .

إن الله يحب للعباد بلوغ أرفع الدرجات وأرقى المراتب إلّا أن الانسان يرضى بالدرجة الدنيا منها وهي الحيوانية ، فإن ضمن المأكل والمشرب اكتفى بهما .

---

(١) البقرة : ٤٧ .

وأمّا النعم المعنوية كنعمة الولاية والايمان والتقوى ، فلا ينالها كلّ أحد ، بل هي نصيب العارفين بالله السائرين في صراطه عن اختيار وإرادة ، فهذه لا تكون إلّا لمن عبد الله وتخلّق بأخلاقه وكسب معارفه ، والحركة التكاملية لابدّ أن تكون عن اختيار تام وإلّا فلو جيء بشخص قهراً لما كان لحركته هذه الثمار .

لو قُيّدت النفس الشرّيرة والنارية ألف عام ثم أُطلق سراحها سوف تكون هي النارية السابقة من دون تغيّر فيها ، وأما النفس التي تكون بين النفوس النارية والأمّارة بالسوء ، ومع ذلك تصون عقلانيتها وإلهيتها من دون ان تبتلى بما يجرّها إلى النار ، فإن مثل هذه النفس تنال الكمال وتطّلع على أسرار العالم وأسرار العلوم الإلهيّة ، ويكون لها جميع الملكات والفضائل الانسانية ، فليس لهذه النفس نارية فحسب ، بل تهدف الى اطفاء نيران الشرق والغرب .

انّه لابدّ للانسان من السير التكاملي الاختياري الإرادي في صراط الحقّ المستقيم ليصون نفسه من النيران ويملك زمام نفسه ، عندئذ يكون هذا الانسان موفّقاً ورجلاً إلهياً نظير الأنبياء والصلحاء والأتقياء ، يتنعّم بالنعم الإلهيّة المادّية العامّة ، فالتكامل هو أن يسير الانسان بين هذه النيران فيطفئها ويهدي عباد الله ويخرجهم من الضلال ، ويخلّصهم من حبائل الشيطان ، بذلك ينال مثل هذا الانسان مقاماً علمياً رفيعاً بحيث يكون قلبه بيتاً للعلوم الإلهيّة ، وان كان مرجع جميع تلك العلوم إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله والتي نالها صلّى الله عليه وآله بالعبودية .

إن قلب الانسان إذا صار إلهيّاً كان مأوىً للعلوم الإلهيّة ومخزناً لها ، فإن ما يعطيه الله للعبد من الهمّة والاستعداد بحاجة إلى تأييد وتسديد إلهيين .

قد يتصوّر الانسان أنّه يدرك كلّ شيء لكن ذلك غير صحيح ، وفّقكم الله لمعرفة علومه وصراطه والسير في طريق الحق .

* * *

المراتب المعنوية

من أجل نيل النعم المعنوية لابدّ من الحركة والسعي ، إذ انّ لتلك المعنوية مراتباً كمراتب النور التي أضعفها السراج واشدّها ضوء الشمس والجميع نور ، فإنّك كلّما بلغت مرتبة تجد أن فوقها مرتبة أُخرى ، نسأله تعالى التوفيق لوجدان الهمّة العالية وعدم الاعتناء بالمادّيات ، فإنّه ينبغي للانسان أن يأخذ من الأُمور المادّية مقدار حاجته فقط ، فتكون حصّته منها مقدار ما يحتاج إليه فحسب ، وهكذا الأموال المودعة في البنوك فإنّ حصّة خاصة منها لأرباب المال والباقي منها سهم المستحقين .

يقول الله عزّ وجلّ : اننا أغدقنا بالنعم على بني اسرائيل ، فأعطيناهم نعماً مادّية وأُخرى معنوية وفضّلناهم على العالمين وبعثنا إليهم بالنبيّين ، لكنهم لم يكونوا أهلاً لهذه النعم .

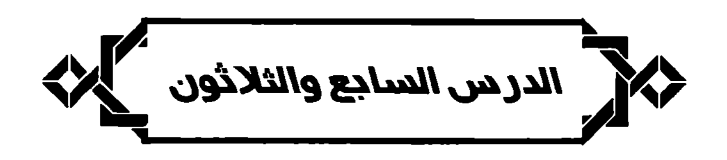
انّ الانتفاع بالنعم المادّية لا يكون إلّا بالتهذيب وتحويل النفس من النارية إلى النورية ، فإن صارت نورية إلهية لم تذنب هي أو الجوارح من اليد واللسان أبداً ، لأن منشأ جميع هذه الذنوب هو كون النفس شرّيرة ، إلّا أنه يمكن تهذيبها وترويضها على العبادة والمجاهدة النفسية ، فإن صلحت النفس صلحت جميع الجوارح وكان الانسان منها مطمئن البال ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لمالك الأشتر لمّا ولّاه مصر انّه قال : « فاملك هواك » ، وقال عليه السلام

في خطبة أُخرى : «إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان : اتباع الهوى و...» .

انّ الانسان قد لا يدرك معنىٰ عداء الشيطان وأنّه ألدّ أعداءه ، وإنّ المفاسد والشرور التي يبتلى بها هي من لدنّ الانسان نفسه ، فإن أراد إصلاح نفسه فعليه بالدعاء والعبادة فإنّهما يساعدان على تهذيب النفس ، وليس المقصود من ذلك القضاء على النارية في النفس تماماً ، بل بذلك يمكن تحجيم دائرة تلك النار بحيث لا تحرق صاحبها ولا غيره ، وإن لم يعالجها الانسان قد تأجّج العالم وتحرقه ، فالنار الكامنة في النفس أشدّ خطراً من النار التي يذاب بها الحديد ، فإن سترها الانسان وقضى عليها كان في أمان منها .

انّ الغرض من جميع العبادات والمعارف الاسلامية وكتب الاخلاق هو بناء الانسان وتزكيته ، فإن استطاع أن يزكّي نفسه كان مضاهياً لرسول الله في درجته .

❊ ❊ ❊



﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1]

بصيرة العقل

تنعكس آثار النعم المعنوية على العقل فيزداد بصيرة، وتشتد الوشائج بين العقل والنفس الناطقة، ويكون للانسان عروجاً في الصلاة ويكون مصداقاً لقوله صلى الله عليه وآله: «الصلاة معراج المؤمن» لأنّ هذا المعراج عبارة عن عبادة الحقّ تعالى، وحصر الاستعانة به دون سواه، وهذا من آثار العقل، فإن نور العقل لو لم تحجبه الطاعة للشيطان والهوى يكون ذلك من آثاره، و أيضاً من آثاره تضعيف القوى الماديّة وتقوية الملكة المعنوية والعقلية، حينئذٍ يمكن أن يكون العقل حاكماً على النفس البهيمية.

انّ المعارف من التوحيد والاخلاق لا تدرك بالحواس الظاهرية، بل تدرك ببصيرة العقل، فالانسان بسبب البصيرة العقلية يحصل على الايمان ويتعرّف على المبدأ تعالى ويكون موحداً وطاهراً من دنس الشرك، فيصدق في حقّه

---

(١) البقرة: ٤٧.

قول أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال : «رأته القلوب بحـقائق الايمـان»[١] ، لكن هذه الرؤية لا تتيسّر للمغلوب على عقله والمتّبع لهوى نفسه أو الشـيطان ، وهذا العقل هو حجّة الله الباطنة في الانسان ، لكن الانسان غافل عن هذه النعمة العظيمة .

* * *

النار المخبوءة

لقد أعطى الله بني إسرائيل من جميع النعم مادّية كانت أو معنوية ، ولكـن هذا الانسان بدل أن يكون خاضعاً أمام عظمة الخالق كذّب وطغىٰ ، وذلك لجهله بالله تعالى ،ذلك أنه يستحيل أن يكون الانسان عـارفاً بـالله ، ومـع ذلك يـطغى لإدراكه هذه النعم ، فالعارف بالله يعلم بأن هذه النعم هي رحمة من الله إليه ، فـلا يهمّه كم يكون حظّه من تلك النعة ، وهذه النعم تؤدّي إلى قطع الانسان أمله من كلّ أحد سوى الله .

إذا اعتقد الانسان بالعذاب الإلهي أو أدركه ببصيرة القلب يكون خائفاً من الله تعالى قبل كلّ أحد ، انّ العذاب الإلهي أشدّ على الانسان من ألف سوط في دار الدنيا ، لأن العذاب بمعنى طرد الانسان من الرحمة الإلهيّة وهـذا أشـدّ العـذاب **﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلعَبيدِ﴾**[٢] .

إن الانسان نار يحرق نفسه ويحرق العـالم مـعه ، فـلابدّ مـن دفـن هـذه النار برعاية الحـدود الإلهـيّة وأداء التكـاليف والعـبادات ، والطـريق فـي ذلك هو اغتنام الانسان للقوّة العـاقلة والبـصيرة العـقلية ، فـلابدّ إذن مـن التـزكية ،

---

(١) توحيد الصدوق : ١٠٩ ح ٦ .
(٢) فصّلت : ٤٦ .

لأنّ النفس سهما تزكّت تأصّلت القوة العاقلة لدى الانسان أكثر وكانت ادراكاته أشدّ.

❊ ❊ ❊

طهارة النفس

قال الإمام علي عليه السلام: «**مثل الصلاة مثل الحُمَّة على باب الرجل**»[1]، فالذي يستحمّ في اليوم خمس مرات لا يبقى على بدنه ونفسه درن أو قذر، فإن بقى عليه شيء من ذلك فهو لم يستحمّ في الواقع، ولم تكن الصلاة معراجاً له، لعدم كونه صادقاً في قوله: ﴿**إيّاكَ نَعْبُدُ وإيّاك نَستَعينُ**﴾، فلو قلنا ذلك ولو لمرّة واحدة بصدق كنّا موحّدين، وإذا صار الانسان موحّداً عرف طريق الشرك وابتعد عنه، لكن الانسان يعلم بأنه كاذب في قوله: ﴿**إيّاكَ نَعْبُدُ ....**﴾.

انّ ميل الانسان بالفطرة إلى التوحيد موجود في الأنبياء أيضاً، وهذا من نِعم الله على الانسان قد اغتنمها الأنبياء في وجودهم، ومزجوا النعم المادّية بالمعنوية حتى نالوا الدرجات الرفيعة، لكننا بقينا لا نعرف الله، وذلك لأننا ملوّثون بالذنوب، فلو اردت نصرة الله لك وأردت اغتنام النعم فعليك بترك المحرّمات في الخلاء، والاحتراز عن الكذب والدسائس، وتوجيه التهم والمكر والشيطنة ـ التي قد يعتبرها البعض أنّها من العقل ـ، فقد قال معاوية يوماً: «إن معاوية اَدهى من علي»، معاوية الذي تحوّل مدفنه إلى سلّة للمهملات بحيث لم يُوفّق كل من أراد إعادة عمارة بناءه، وإلى جانب قبر معاوية قبر للسيّدة رقيّة ـ عليها السلام ـ الذي صار مزاراً للمؤمنين، فهل دهاء معاوية بعدُ من العقل؟ انّ

(١) الوسائل ٣: ١٩ ح ٨.

دهاء معاوية صار سبباً في هلاكه وإضرام النار في نفسه ، التي هي منشأ جميع النيران .

انّ العقل هو الذي ينقذ الانسان من النار ، ونور البصيرة للعقل هو الذي قال عنه تعالى : ﴿اللهُ وَلِيُّ الّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ﴾[1] ، فلا تطفأوا هذا النور ، فإنّ مفتاح هذا النور بأيديكم فإن طفأ كنتم في ظلمات لا تبصرون ، فإنّ مفتاح ذلك أن لا يعصي الانسان ربّه ولا يتآمر على الآخرين ، وليس ذلك من الذكاء والدهاء في شيء ، فإن كان للانسان دهاءً فليستعمله في ما يقرّبه إلى الله ، والداهية هو الذي يردّ الشمس بإرادة الله ومشيئته[2] ، وفي ذلك قال الشاعر :

هل رُدّت الشمس يوم لابن حنطمة   وهل هوى كوكب في بيت عثمان ؟

لا يتصوّر البائع الذي يمكر بالمشتري ويغشّه في بضاعته أنّه من أهل الدهاء ، كلّا ، انّه من أهل الشقاء لأنه صار في ذلك أسير بطنه .

وفّقكم الله جميعاً لئن تكونوا من ذوي البصيرة في العقل فانّه بذلك ترتفع الأخطاء و يصدّق وجدان الانسان انّ هناك ربّاً ، وأن جميع هذه النعم والبركات منه ، ويصدّق شدّة عذاب الله ، فلا يقترف المحرّمات ، ويستوي لديه السرّ والعلن وحالتي الخلاء والجلاء .

* * *

---

(١) البقرة : ٢٥٧ .

(٢) بحار الأنوار ٤١ : ١٧١ ح ٨.

الدرس الثامن والثلاثون

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

نور العقل

لم يغتنم بني اسرائيل ما أنعم الله به عليهم و لم يستخدموها في طريق تهذيب نفوسهم وتشييد صرح عقائدهم في التوحيد والعرفان والاخلاق وغيرها ، إذ لو استخدموها في ذلك لكان كل واحد منهم مصباحاً ونوراً في العالم .

إن الرابط بين النعم المادية والنعم المعنوية هو العقل ، لأن «**العقل ما عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان**» ، فالقوة العاملة هي منشأ كلّ نور وبركة ، وهي التي يتربّى في ظلها النبيّ والولي ، لأنّ العاقلة إذا كانت هي الرابط بين الانسان وربّه سوف يتكامل الانسان بسببها ويدرك المعارف والأحكام الاسلامية .

لقد خاطب الله تعالى العقل فقال : « **اقبل فأقبل ، أدبر فأدبر ، إيّاك أُعاقب ، وإيّاك أُثيب ، ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ منك** » ، وهذا يدلّ على منزلة العقل التي تفوق منزلة كلّ موجود ، وقد تفوق منزلة الملائكة أيضاً ، ثم انّ الله تعالى قال : « وعزّتي

وجلالي ما أكملتك إلّا فيمن أُحب»[١] ، فاذا تكامل عقل المرء كان أحبّ الخـلق إلى الله .

انّ جميع بركات الأنبياء والأولياء رهينة العقل ، لأن الانسان إذا صار عبداً لله واتّبع عقله فكّ عقال الشيطان وهوى النفس ، وتنزّلت عليه جميع البركات .

❊ ❊ ❊

إضرام النار في النفس

تعتبر النفوس الشريرة وغير الإلهيّة جميع الذنوب والمعاصي كمالاً لهـا ، فلسان حال تلك النفوس انّها تقول : إنّ بإمكاننا حرق العالم بأسـره ، ولابـدّ أن يقال في جوابها : انّ الفخر في أعمار العالم لا في خرابه .

ان النفس موجود ناري وهي العـدو اللـدود للإنسـان ، ولكـن لا يـدرك الانسان حقيقة ذلك ، إذ كيف يعقل أن يكون الانسان عـدوّ نـفسه ؟ ولا يـدرك الانسان ذلك إلّا أن يهبه الله العقل ، حينئذٍ يدرك أنه أجهل من كلّ انسان وأن ناره أكثر تأجّجاً من نار مَن سواه ، عندئذٍ لا يقول : افعل كلّ ما اشتهي ، بل يقول : افعل ما يريده الله منّي ، وفي ذلك عظمة الانسان .

لابدّ من اغتنام العقل وإزالة ما يمنع من اغتنام هذه النعمة ، والذي يمنع هو النفس الأمارة ، فإنّ أُسس العقل إنّما تقوى وتسـتحكم إذا سـعى الانسـان فـي تهذيب نفسه و تزكيتها وحـاول قـدر الإمكـان اجـهاض القـوة السـبعية فـيها وإضعافها ، حينئذٍ تقوى حكومة العقل وتتأصّل جذورها .

لكن الانسان لا يفرّق بين العقل والنفس فتراه يفعل ما يروق له طبقاً لهواه

---

(١) اصول الكافي ١ : ١١ ، ح ٣.

حتى لو كان في ذلك النار ، وهذا ما تفتخر به القوى الكبرى حيث تقول : ان بإمكاننا حرق العالم بأسره .

أقول : حبّذا لو كانت لهذه القوى قدرة الرحمة والشفقة لأنها لو كان لها ذلك لكانت الدنيا في نعيم .

انّه بفضل العقل ـ الذي ورد في الرواية «**أول ما خلق الله العقل**»[1] والذي فسّر بالنبيّ صلّى الله عليه آله ـ ليس من فرق عند النبي بين ان يجلس على الأرض أو على فراش من حرير، لأنه أدرك انّ العظمة في الاتصال بالله لا في هذه الأُمور ، وأمّا نحن فلا نعلم ما يوجب قربنا من الله ، فان ذهبنا إلى مجلس أحرقناه بنارنا ،وذلك بتوجيه التهم والكذب والغيبة ونعتذر لذلك بأن هذا الكذب لا يضرّ احداً ، كلاّ إن الكذب يمكن أن يحرق العالم .

وفّق الله الجميع إلى الخلاص ـ ببركة العبادة وتعاليم الاسلام ـ من شرور الشيطان .

* * *

(١) بحار الأنوار ١ : ٩٧ .



﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

الآيات الكونية والاعجاز في الخلق

انّ جميع موجودات هذا العالم هي من آيات الله تعالى، فإنه لو اجتمع علماء الطبيعة والمفكّرين على أن يخلقوا ذباباً لعجزوا عن ذلك.

وحيث ان الانسان استئنس بوجود الشمس والقمر والبحار والقفار غفل عن كون كل منها آية ومعجزة لله، فان المعجزة ليست هي جعل النار على إبراهيم برداً وسلاماً أو إغراق فرعون وقومه في البحر، بل انّ كل ما خلق الله تعالى هو على حدّ الاعجاز، فهو تعالى يعطي لجميع الموجودات وفي كل آنٍ ولحظة صوراً جديدة، ولكن معرفة هذه الآيات وإدراك حقائقها يحتاج إلى بصيرة ونفوذ عقلي، وأنّ الذي يمنع تلك البصيرة هو هوى الانسان لأنه لا يرى إلّا هواه.

ان الأنبياء عندما يدعون أُممهم إلى الله ويقولون لهم: **﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾**[1]،

---

(١) الأنبياء: ٦٦ ـ ٦٧.

يأتيهم الجواب : **﴿إنّا وَجَدْنا آبائَنا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإنّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدونَ﴾**[1] ، ويتصوّر هؤلاء انّ الأنبياء يبغون السيادة عليهم ، كلّا ، إنّ مقام الأنبياء أجلّ من ذلك ، ولا يعلمون أن السيادة على هذا العالم المتلاطم بالحوادث مقرون بالفجائع والمفاجئات .

اذا زكّى الانسان نفسه وهذّبها واستعمل عقله سوف يدرك المعاني الإلهيّة كإدراكه للمبدأ والمعاد ، وسوف يعلم بأن الله هو القادر والحاكم والرازق على الاطلاق ، وانّ الايمان بالله ذو منزلة رفيعة لأنّه يقطع وشائج ارتباط الانسان بالدنيا إلّا الله .

إن جميع ما جاء به الأنبياء وبشّروا به أو أنذروا منه إنما هو من أجل هداية الانسان قال تعالى : **﴿وَاتّقُوا يَوْماً لَا تُجْزَى نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفاعَةٌ وَلَا يُوخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾**[2].

ثمّ إنّ الناس في هذه النشأة على طوائف وأقسام ، فمنهم الغني ومنهم الفقير ، ومنهم العالم وآخر الجاهل ، وهذه الأقسام هي من شؤون هذه النشأة .

لا يأخذ الانسان معه من هذه الدنيا إلّا عمله يوم لا ينفع فيه أحد أحداً ، ولا والد ولده ولا حميم حميماً ، فلا ينجو في ذلك اليوم إلّا من اعتصم بحبل الله أو نالته شفاعة أهل البيت عليهم السلام ، فالشفاعة تنال من عند الله لا من عند الشيطان ، وليست الشفاعة لكلّ أحد ، بل هي لفئة خاصّة .

* * *

---

(١) الزخرف : ٢٣ .

(٢) البقرة : ٤٨ .

نداء الحقّ تعالى

لو ارتفعت الحجب النفسية لسمع الانسان نداء الحقّ تعالى وإدراك الحقيقة بعين البصيرة ، فهناك واقعية لكن لا يرها كل أحد ، ولا يسمع ذاك النداء كل احد ، لأنّ سماع النداء بحاجة إلى تمّرس كمن يقرأ النحو فيتخصص في ضبط قواعده .

وان الانسان اذا ترك المحرمات سمع ذلك النداء ، فقد لا يعدّ البعض الكذب من الذنوب مستدلاًّ عليه بعدم بطلان المعاملة بالكذب ، لكن ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في ذمّ الكذب وأنه : «**لا يجد عبدُ طعم الايمان حتى يترك الكذب هزله وجدّه**»[1]، فالايمان يتنافى حتى مع هزل الكذب ، ولو لم يستتبع الكذب الهزلي الفساد ، لأنه يسلب الثقة المتقابلة ، لذا لابدّ أن يكون الكلام الصادر منّا مورداً لإعتماد وثقة السامعين ، فإن كنّا كذلك لا حاجة حينئذٍ إلى دليل لإثبات صدقنا أو ذهاب إلى المحكمة وما شابه .

وفّقكم الله جميعاً لمعرفة تعاليم الاسلام ومعرفة معايب أنفسكم فإن اساس جميع الاصلاحات في بناء النفوس وتهذيبها .

* * *

---

(١) اصول الكافي ٢ : ٣٤٠.

الدرس الأربعون

﴿وَإذْ نَجّيْنَاكُم مِن آلِ فِرعَونَ يَسُومونَكُم سُوءَ العَذابِ يُذَبِّحُوُنَ أبْنائَكُم وَيَسْتَحيُونَ نِسائكُمْ وَفِي ذلِكُم بَلاءٌ مِن رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1]

إنّها تذكرة

هذه الآية تذكرة لبني اسرائيل الذين كانوا يعانون من ظلم فرعون ، وقد تعرضت لذكر عدة ابتلاءات ، منها : ذبح فرعون لمواليد بني اسرائيل عسى أن يكون موسى عليه السلام فيهم ، ففي تذكير الأمّ لذبح جنينها عذاب أشدّ عليها من عذاب حرّ الحديد .

يتصوّر فرعون أنه بذبح الأطفال تبقى أُصول حكومته قوية ، غافلاً عن عجزه وعدم قدرته على مواجهة القدرة الإلهيّة .

لقد جاء فرعون بموسى وربّاه صغيراً ، وجعل الله نجاة بني اسرائيل بإغراق فرعون وقومه ، فانّه لا يمكن مواجهة فرعون بغير العذاب بالاغراق ، إذ لم تنفعه الذكرى ، فقد تكون الذنوب والمعاصي التي يرتكبها الانسان إلى حدٍ لا يستطيع أي أحد من صرفه أو منعه منها ، حينئذٍ تتدخّل الإرادة الإلهيّة في الانتقام منه كما

(١) البقرة : ٤٩ .

أنقذ الله بني اسرائيل من العذاب المهين .

* * *

الدعوة إلى التوحيد

ان الغرض من بعثة الأنبياء ومن تبعهم من الأولياء والصلحاء هو اخراج الانسان من الضلال والشرك إلى الهدى ، لكنهم لم يحقّقوا غرضهم بالنسبة لجميع البشرية .

لقد دعى رسول الله صلى الله عليه وآله أهل الكتاب إلى التوحيد ، فقال : **﴿يَا أَهْلَ الكِتابِ تَعالَوا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُم ألّا نَعْبُدَ إلّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أرْباباً مِن دُونِ اللهِ﴾**[1].

إنّ الغرض من جميع الرسالات هو تهذيب النفوس وتربيتها[2] ، فكم يصلّي الانسان فهل تمكّن يوماً من العروج بها ؟ فإنه لو عرج في الانسانية لما ظلم حقّ كل أحد حتى الحيوانات ، والغرض من جميع هذه التعاليم هو الدعوة إلى التوحيد ، لا ما نفعله من تقبيل أيادي المجرمين والطواغيت ، فإنّا لم نفكّر يوماً في حل مشكلة عذاب النفس بالكفر والالحاد لأنه لا أهلّية لنا في التفكير بمثل ذلك ، ولأننا لا نريد الخروج مما نحن فيه من الشرك والجهل ، بل نريد ان نكون عبيد الشهوة والشيطان ، ومع ذلك ندّعي أننا عبيد لله ، ظنّاً منّا أن صرف الدعاء كاف في ذلك ، فان قال أحدكم : أنا عبد لله وآذى جاره أو أهل بلده ولم يحفظ حدود الله ولم يكن مالكاً لهواه، كان هذا الانسان عبداً للشيطان لا عبداً لله .

* * *

---

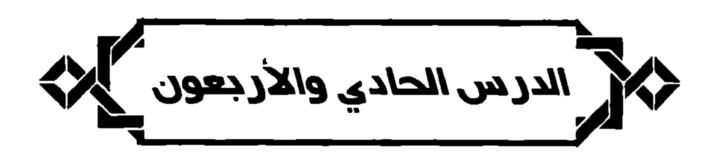
(١) آل عمران : ٦٤.

(٢) المقصود من التهذيب اخلاص القلب ، ومعرفة أنّه لا يجوز عبادة غير الله تعالى .

يفرّ الجميع حتى الحيوانات من الانسان الشرير ، فالحيونات عندما تشعر بالأمن تخرج من مخابئها ولا تخاف من أحد ، والانسان ان لم يكن في وجوده خير ولا يكون مؤذياً للآخرين يكون وجوده نعمة ، فكمٍ وكم فـي عـذاب مـن تصرفاتنا وأفعالنا ؟ والمقصّر في ذلك هو الانسان نفسه ، فهو يفتخر بفعل القبيح كما لو غشّ مسلماً أو انتهك حرمة مؤمن ويعتبر ذلك لوناً من ألوان الشجاعة ، ولكنه عندما يواجهه شرير آخر مثله يجبن عن مواجهته وينكص عن مقابلته ، فليكن كل همّنا هو عدم إيذاء الآخرين أو تضييع حقّهم .

والحاصل : على الانسان أن يجد طريق النجاة لنفسه ويخلّصها من رذائل الاخلاق بأن يصون لسانه وعينه من الحرام ، هدانا الله وإياكم جميعاً .

❊ ❊ ❊



الدرس الحادي والأربعون

﴿وإذْ فرّقْنَا بِكُمْ البَحْرَ فأنْجَيْنَاكُمْ وأغْرقْنَا آلَ فِرعَونَ وَأنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[1]

النصرة الإلهيّة

لقد أنجى الله تعالى بني اسرائيل بسبب فرق البحر وأغراق آل فرعون، وموسى وقومه ينظرون.

قال تعالى: ﴿إنْ تَنْصروا اللهَ يَنْصُركُمْ﴾[2] وهذه الآية تبيّن أجلى مصاديق نصرة الله لمن ينصره كما نصر بني اسرائيل بإهلاك فرعون وقومه في البحر، فالله ينصر عبده بتسخير أنواع موجودات هذا العالم من الريح والمياه والنار لكن بشرط أن ينصر الله، فإن بني اسرائيل شاهدوا بأُمّ أعينهم نصرة الله لهم ومع ذلك لم يعتبروا ولم يصلحوا أنفسهم.

* * *

---

(١) البقرة: ٥٠.

(٢) محمد: ٧.

جنود العقل

تعدّ جميع الفضائل من جنود العقل وكـذلك جـميع الرذائـل مـن جـنود الشيطان ، لذا ينبعي على الانسان بناء نفسه والتحلّي بتلك الفـضائل والصـفات الحميدة والاجتناب عن الصفات الذميمة وذلك عن طـريق العـقل ، فـانّ أُولى مراتب العقل هو بناء الانسان ، ذلك ان الذين لا يجتنبون الرذائل من الأخـلاق والصفات الذميمة لا عقل لهم ، لأن العقل «**ما عُبِدَ به الرحمان**»[1] كما عن الصادق عليه السلام .

فالمرتبة الاولى من مراتب بناء النفس هي كون الانسان عاقلاً ، فانه يقال لكل ما يقرّب الانسان إلى الله ويبعده من المحرمات والقبائح من الافعال العقل أو القوة العاقلة ، فإن تمكن الانسان من بناء نفسه واستطاع أن يملك هواه حـينئذٍ يكون ملزماً بهداية الناس وايصالهم إلى الكمال ، فالمرتبة الأُولى هـي تـهذيب النفس وبناءها .

❊ ❊ ❊

مراحل بناء العقل

أول مراحل العقل ـ كما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام ـ هـي العبودية لله ، فالعقل الكامل هو «**ما عُبد به الرحمان**» ، وهذا في مقابل ما تأمر بـه النفس من معصية الله والتآمر والصاق التهم بالآخرين وغير ذلك ، فإن لم يتمكن الانسان من بناء نفسه بالعقل فكيف يتمكن من سوق الناس نحو الكمال ؟

فالذي يريد السير التكاملي بالنفوس البشرية من اجل القرب الإلهي لابدّ

---

(١) أُصول الكافي ١ : ١١ ح ٣.

أن يبدأ بنفسه أولاً في تهذيب وتزكية هذه النفس الأمارة، غير أن الانسان سرعان ما يستجيب لما تطلبه العين واليد واللسان والبطن، ومثل هذا الانسان يعتبر مجنوناً في لسان الروايات وإن اعتبر نفسه عاقلاً، لأنه لو كان عاقلاً لنال ما ناله الأنبياء والأولياء عليهم السلام من مراتب الكمال، فالذي لايكون متقياً بعد عمرٍ يناهز الثمانين فهو لا عقل له.

ان التقوى هي أول آثار العقل، وكذا أول مراتب التقوى هو أن يعرف المتّقي درجات الناس ويعرف أهل النار من أهل الجنة. فلا يمكن أن يتمثل العاصي امامه بصورة الانسان الكامل، غير أننا بَعدُ في ركاب المرتبة الأُولى لا نتّبع إلّا الهوى ولا نتمكن من قطع الأمل بالدنيا، اذن سوف نبقى في مكاننا ويكون حالنا أسوء من السابق، لأن الحركة في صراط الشيطان تجعل من الانسان ماهراً في الأعمال الشيطانية وتقرّبه من الشيطان كما تقرب العبودية من الله تعالى.

هدانا الله بحرمة محمد وآل محمد صلّى الله عليه وآله.

* * *

الدرس الثاني والأربعون

﴿وَوَاعَدْنَا مُوْسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً...﴾[1]

التهذيب من أهداف الأنبياء عليهم السلام

تتعلّق هذه الآية بمواعدة الله تعالى لموسى ليفيض عليه المعارف والأحكام الإلهيّة[2].

ثم إنّه لو لم يكن دين الاسلام ماذا كان يحدث ؟ لقد توغّر المجتمع بالرذائل والكفر مع وجود الاسلام ، غير أننا لا نشعر بذلك فإنه مع كل ما بذله الأنبياء من جهود في بناء المجتمع نجد أن الانسان مبدأً للفساد والنار ، إذ من الصعب أن يكون الانسان الهياً وعبداً لله لا للشيطان .

إن تبليغ الأنبياء يختلف عن تبليغنا نحن البشر، فأن تبلغيهم لله تعالى مع قطع النظر عن الماديات ، ولذا أصلح وضمن لهم الله أمرها ، فقد كان رزق موسى عليه السّلام كما أخبر به الله في كتابه العزيز : ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُم

---

(١) البقرة : ٥١ .

(٢) لا بدّ أن تكون تلك العلوم الإلهيّة المفاضة على الأنبياء منشأ للعلوم البشرية على الرغم من مرور اربعمائة بعد الألف من صدور تلك التعاليم أو قبل ذلك .

﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾[1] ، وكان رزق مريم عليهاالسلام أنّه : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[2] فالذي ضمن الله له ذلك فلا حاجة له إلى الناس ، وحينئذٍ يكون همّه بناء وتهذيب نفسه ، فإن وجدتم في المجتمع نفر من الصلحاء فذلك بسبب هداية الأنبياء ، لأنه لا يصل أحد إلى المقصد من دون دعوة الأنبياء عليهم السلام .

ثم ان لموسى حجاباً مع ربّه في قومه ، وحجابه هو امته و قومه وان كانت دعوته بأمر من الله تعالى ، لكن قومه هم الحجاب الحائل بينه وبين ربه ، والاختصاص للحجاب في هؤلاء بل يمكن أن يكون في كل شيء حجاباً ، ولعل هذه الالفاظ التي نلفظها هي حجاب وان كان المقصود منها معانيها لكن مع ذلك فقد تكون من الحجب .

وعلى كل حال لقد ذهب موسى لوعده مع ربّه ليفيض عليه من رحمته ويعطيه الألواح التي فيها ما بينّ لبني إسرائيل من الأحكام .

* * *

الدعوة إلى التوحيد

اتّفق الأنبياء ـ عليهم السلام ـ جميعاً في دعوتهم إلى التوحيد الذي هو من أهم الأُصول ، فالكل يدعو إلى الله ، وهذا اساس ما تبتني عليه حياة البشرية ، فإن الصلاة و الصيام وما جاء به الأنبياء من تعاليم انما هو من اجل تهذيب النفوس ،

---

(١) البقرة : ٥٧ .
(٢) آل عمران : ٣٧ .

ومن اجل ان لايكون الانسان عبداً للشيطان وأن يعلم أنه في اي موضع صار عبداً لله وفي اي موضع صار عبداً للشيطان، فالشيطان هو الذي يدعو إلى الفساد ويرغّب فيه.

ان الله خلق الشمس والقمر والافلاك والمعادن وكل شيء من أجل الانسان فإن تمكن من تهذيب نفسه صار العالم بأسره جنّة ولكن هذا الانسان حتى لو ذهب إلى الجنة لصيّرها ناراً وجحيماً، لكون المبدأ في حركته هو الشيطان والهوى، وهذه الرسل والتعاليم الإلهيّة كلها من أجل صدّ الانسان عن ذلك، فان غرض الجميع هو ان يكون الانسان موحداً خالصاً عن الشرك، لكن لم يتمكن الانسان من تهذيب نفسه، ولم تثمر جهود هؤلاء العظام[1]، فالمسلمون يقيمون الصلاة ولكن ليت في صلاتهم عروج، فلو قال احدهم ﴿**إيّاك نَعْبُدُ**﴾ صادقاً وكان هو يعترف بصدق ذلك وأنه ليس عبداً للشيطان ولهوى نفسه بل عبد لله وحده وانه لايستعين بأحد سواه لابتعد عن جميع المحرمات واقترب من البركات الإلهيّة، ولكن من الصعب ان يقول الانسان ﴿**إيّاك نَعْبُدُ**﴾ صادقاً، فإن السبب في تكرار هذه الجملة في صلاة صاحب الامر عليه السلام مائة مرّة هو مالها من معنى ومضمون رفيع، ولكن ان كان في ذلك كاذباً فلا ينفعه تكرارها ولو لألف مرة.

قال جماعة ممن ذهب إلى مسجد جمكران[2]: ذهبنا إلى هذا المسجد لغرض العبادة وإحياء الشعائر الإلهيّة فلما انصرفنا لم نستفد من ذلك

---

(١) القضية على نحو الموجبة الكلية لا على نحو الموجبة الجزئية ـ كما يقال ـ. (المترجم)

(٢) مسجد على قرب من مدينة قم المقدّسة ينسب بناءه إلى الإمام الثاني عشر عليه السلام، يقصده الزائرون لغرض العبادة وأرباب الحوائج لقضاء حوائجهم. (المترجم)

شيئاً .

اقول : ذهب هؤلاء ليطرقوا باباً غير باب الله تعالى وهم في غفلة عما جاء به الرسل من الارتفاع بالانسان إلى أعلى علّيين ، غير ان الانسان يأبى ذلك لما يمنعه من اتباع الهوى ، فهو لا يتمكن من التجاوز عن المال والمقام والشهوات ، فلو تمكّن من تجاوز هذه العقبات لصار الخير والبركة الإلهيّة حظّه الاوفر .

❊ ❊ ❊



﴿وَوَاعَدْنَا مُوْسَىٰ أرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ العِجْلَ مِنْ بَعدِهِ وَأنْتُم ظالِمُونَ﴾[1]

انّ جميع هذه البركات التي صارت من حظ الانسان انما هي بسبب مائدة الخلفاء الالهيين في الارض وسبب أدعية الأنبياء والأولياء عليهم السلام ، فان الدعاء يرشد ويهدي إلى الصراط المستقيم ، إذ مبدأ جميع ما وهبه الله تعالى من علوم ومعارف في علم الفقه والاخلاق وغيرها ـ للانسان ـ هو من الافاضات النازلة على هؤلاء الأعاظم من اجل تكامل الانسان وتهذيب نفسه .

ان كل ما جاء به الأنبياء عليهم السلام هو في حدود طاقة الانسان ، ولو كان وسعه وتحمّله اكثر من ذلك لكانت الاحكام والتكاليف اكثر ممّا عليه الآن ، لما في هذه الاحكام من تهذيب لنفس الانسان ، فالذي يضمن سعادة الانسان وتعايشه مع بني نوعه هو الصلح عن طريق بناء النفس ، لان المجتمع في أمسّ الحاجة إلى التفاهم وحسن العشرة ، وهذه الأسنّة والرماح لاتحل مشكلة الانسان فإنها مهما ارتفعت ازداد الخلاف اكثر .

---

(١) البقرة : ٥١.

فالانسان انما يتمكن من تهذيب نفسه اذا استعان بتعاليم الاسلام وتمكّن من الحدّ من نارية نفسه، ولعلّ ما ينسب إلى الانسان من الجهل لأجل مساوىء نتائج ما تؤدي إليه مدركات النفوس، إذ هي في الغالب نتائج مهلكة وقائمة على اساس الشر.

اذا رأيتم في وجودكم انعدام القبائح والمساويء فاعلموا ان التوفيق الالهي شمل حالكم وأنكم وأنتفعتم حقاً بالعلوم والمعارف الإلهيّة والعبادة، وأما اذا رأيتم انساناً يعيش قرناً من العمر في ظل دولة اسلامية ولم يترك رذائل الاخلاق والقبائح فاعلموا بأن صلاته لم تكن بصلاة، الصلاة التي هي معراج المؤمن، فان مفهوم المعراج لايرقى بالانسان بل حقيقة العروج هي التي ترقى بالانسان وتعرج به، فهل يتذكر أحدنا أنه قال: **﴿إيّاكَ نَعْبُدُ وإيّاك نَستَعِينُ﴾** صادقاً ولو لمرّة واحدة؟ انه مادام الانسان يضمر الدسائس والمؤمرات الشيطانية لم يكن في عبادته عروج.

* * *

مقام الولاية

ورد في الحديث الشريف: «**لو أنّ رجلاً قام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحجّ دهره ولم يعرف ولاية إلى الله فيواليه وتكون جميع اعماله بدلالته إليه ماكان له على الله جلّ وعزّ حقّ في ثوابه ولاكان من أهل الايمان**»[1].

وان هذا الكلام في حق معرفة الامام ليس جزافاً، فما لم يعرف الانسان امام زمانه لا يكون موحداً، فإنه ينبغي اخذ التوحيد من الامام الحسين عليه

(١) أُصول الكافي ٢: ١٩ ح ٥.

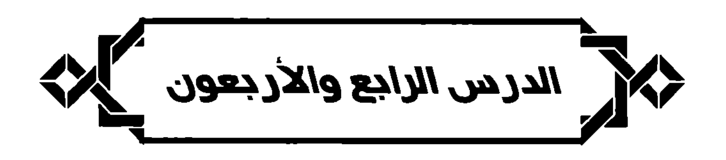
السلام الذي بذل كل ما لديه في سبيل الله ، فهل تمكن هؤلاء الخلفاء الذين قالوا « حسبنا كتاب الله» أن يصلّوا صلاة كصلاة أهل البيت عليهم السلام ؟ ان هؤلاء تصوّروا أن الخلافة هي الاخذ بزمام امور الدولة فحسب ، لكنهم هل صلّوا يوماً صلاة كصلاة رسول الله أو صاموا كصيامه وجاهدوا كجهاده ؟ وهل تمكّنوا أن يكونوا ساعة من الموحدين الخلّص ؟ او يعبدوا الله بإخلاص ؟

ومن هنا صار مقام و أجر من زار قبر الحسين عليه السلام أعظم من أجر من زار بيت الله الحرام ، فإنه يذهب إلى جح بيت الله كل عام الالوف من المسلمين لكنك قد لا تجد فيهم رجلاً كالحسين بن علي عليهما السلام ، فليس من الجزاف ان يكون أجر من زار قبر الحسين مضاهياً لأجر من زار بيت الله الحرام ، بود أن كان وفي تربته الشفاء[1] وتحت قبته استجابة الدعاء .

والحاصل فإن جميع ما لدينا من علوم ومعارف الهية هي مفاضة من الله تعالى ، والانسان بحاجة إلى توفيق منه تعالى لينتفع بها على الوجه المطلوب ، فانه لو لم ينتفع بتلك المعارف ويقول له الناس جميعاً بأنه انسان صالح لا ينفعه ذلك ويبقى انساناً فاسداً ، وأما لو اغتنم تعاليم الاسلام حينئذٍ يكون مبرّأً من الشرك ، فلو قال الناس فيه أنه غير صالح وكان يعلم في نفسه خيراً ، كان وجوده في الدنيا والآخرة نورانياً .

❊ ❊ ❊

(١) قد يمنع الأطباء أكل التراب ، لكن تربة الحسين عليه السلام فيها الشفاء من كلّ داء ، ولعلّ هذه الخصوصية مختصّة بتربته عليه السلام دون من سواه حتى تربة رسول الله صلّى الله عليه وآله .



﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾(١)

الايمان الراسخ

الايمان على قسمين : ايمان مستقر وآخر مستودع ، فإن كان الايمان مستقراً لا يتمكّن السامري أن يعشعش فيه ، فإن السامريين لايتمكنون من الاخلال بالايمان المبني على اسس عقلية الهية خصوصاً اذا استضاء الانسان بنور العقل ونور الله ومعرفته ، فانه لاشغل للسامريين بمن كان ايمانه من النوع المستقر ، واما الذين يأخذون دينهم من البيئة او بسبب التأثر العاطفي او من الحكومة وما شابه ذلك فايمان هؤلاء من الايمان المستودع ، والايمان انما يكون مستقراً إذا كانت مبادئه عقلية الهية .

اذن ما هو العقل ؟ العقل : عبارة عن النور الإلهي ، النور الذي كان اهلاً لخطابه تعالى أن « اقبل فأقبل ... وأدبر فأدبر » ولخطابه إياه بقوله «إياك أُعاقب

---

(١) البقرة : ٥١.

وإياك أُثيب»[1] ، وما وجد هذا النور في احد إلّا وأصلح نفسه وهذّبها أولاً ثم يجعله يفكر في اصلاح الآخرين ، وهكذا كان الأنبياء فإنك أول ما تجدهم يتحلّون بفضائل الصفات الإلهيّة ويبتعدون عن رذائها ، وهذا هو ديدن المؤمن فإنه يبدأ الاصلاح من نفسه أولاً ، لا أنه يقول : لا ينبغي للناس فعل المنكرات واما نحن فنفعل ما نشاء .

لابدّ من تهذيب النفوس وإبعادها من جميع القبائح وأنواع الجهل وأن تكون العبادة خالصة لوجه الله ، فالنبي لو قال لأحد : كن أميناً ، كان هو اولاً متّصفاً بالأمانة ثم أمر بها ، فالأنبياء اول ما يتّصفون هم بفضائل الاخلاق ومن ثم يرجون للآخرين هذا الكمال ، ولم يكن نصيبهم من جهلة الناس سوى التهم ، وقد ردّهم القرآن الكريم بقوله : ﴿وَما صاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[2]، ويوجد الكثير من امثال هؤلاء في المجتمع فهم عندما لا يفهمون ما يقوله الطرف المقابل يتهموه بالجهل.

ان بعض الناس قد يستولي عليه الرعب أحياناً إلى حدٍ لا ينام إلّا والسكين تحت رأسه ، وأين هؤلاء من أمير المؤمنين عليه السلام لما وقف في حرب صفين للصلاة فقيل له في ذلك أنه معرّض للخطر من قبل معاوية ،فأنكر عليهم ذلك ، وأخبرهم بأنه يعلم قاتله ومحل مصرعه .

* * *

تهذيب النفس ومعرفة الله

ان الانسان اذا جاهد نفسه وصار صالحاً تمكّن من ادراك الله تعالى ،

---

(١) أُصول الكافي ١ : ١٠ ، ح ١ .
(٢) التكوير : ٢٢ .

وعرف بأنه موجود حقاً ، فإن تمكّن أن يعتزل القبيح من الافتراء والاعتداء على حقوق الآخرين لقبّل أيايده الناس ، فمثل هذا الانسان أُسوة لكم فاقتدوا به ، فمن لم يتمكن ان يكون كرسول الله فليكن على الاقل انساناً صالحاً ، حينئذٍ يفّر الشيطان منه .

والحاصل : فإن جميع الاحكام والتكاليف هي من اجل تهذيب النفس فان استطاع الانسان أن تهذيبها كان له مقاماً رفيعاً وشأناً عالياً .

ان من دواعي انحطاط الانسان هو تعلّقه بالدنيا وفعله لأنواع القبائح من المكر والخدع ، فإن فعل ذلك لم يقل شأناً عن معاوية الذي اصبح قبره كالمزبلة مع كل ما واجه به علياً عليه السلام وخطط له من مؤامرات ، وكانت عاقبة شيطنته السوئى .

لا تظنوا أن الله تعالى ينتظر الانسان متى تحصل له المعرفة ، كلاّ فأنه غني عن العالمين ، فإن عرف الانسان ربه استقام وكان صالحاً وتمكّن من موجهة المؤامرات لان توكله في ذلك على الله .

ان الانسان يطلق العنان للسانه وسمعه ومع ذلك يقول : أنا عبد لله ، كلاّ ، إن عبد الله هو الذي لايكون لسانه مطلق العنان .

رزقكم ايماناً ثابتاً يمكنكم به مواجهة الحوادث العالمية ، فإن فهمتم شيئاً وكذّبكم الشرق والغرب لم يضركم تكذيبهم ، فحاولوا الوصول إلى هذه المنزلة ، إذ كم لذلك من آثار وبركات في هذه الدنيا وفي الآخرة ، وفّقكم الله لترك عبادة الشيطان عن طريق عبادته تعالى والاستعانة به .

* * *

الدرس الخامس والأربعون

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[1]

لابدّ من البدء بالنفس أولاً

ان جميع ما جاء به الاسلام من تعاليم انما هو من أجل تهذيب الانسان لنفسه ، فإن ذلك يضمن تحقق الصلح في العالم ، لأن هذا الصراع معلول لعدم تهذيب الانسان لنفسه فالانسان يجعل القسم الاعظم من مداخله في خدمة الحرب والدسائس وما شابه ذلك ، بحيث لو صرفت تلك الاموال الطائلة في بناء البلاد لكان امراً مرغوباً فيه وحسناً .

ان الأنبياء و قبل أن يأمروا بهداية وارشاد الناس بدؤا بتهذيب نفوسهم ، حتى ان الاعداء أقروا بصدق الأنبياء وأمانتهم ، بناءً على ذلك لابدّ أن يبدأ الانسان بنفسه اولاً ، فالانسان الذي يهذب نفسه لا يضيع حقوق الآخرين ولا

(١) البقرة : ٥١ .

يعتدي عليهم ولا يحتاج إلى محاكم أو مخافر للشرطة.

لقد عاش الأنبياء بأقل كلفة وأبسط مؤونة، فهل تعلمون ماذا كان طعام أمير المؤمنين عليه السلام وهو مع ذلك يتصدّق بخاتمه في سبيل الله ؟ !

* * *

تهذيب النفس واصلاح الناس

لقد أعطى الله الانسان فرصة قليلة لا تتجاوز المعدود من الأيام والليالي وهو يعلم بأنه لابدّ أن يرتحل عن هذه الدنيا ومع ذلك فإنك تجد ملف حياة المنقطع عن الله البعيد عن ساحة رحمته اقبح من ملف الحيوان المفترس.

انّ التكاليف الإلهيّة كلّها رحمة من الله وموجبة لبناء الانسان سواء كانت العبادة صلاة أو صياماً، وهي بلسان حالها تقول للانسان: كن موحّداً، فان كنت كذلك لم ترتكب المحرمات ولا تعتدي على الناس، وهذا هو الاسلام، أما الذي يكذب من الصباح إلى الليل ويفتخر بذلك وأنه ينال به مراده وغايته فليس هذا بإنسان.

والحاصل: فإن الجميع بحاجة إلى تهذيب النفوس، فإن صلحتم صلح المجتمع، لأنهم إن لم يروا في كلامكم الكذب ولا في سلوككم النفاق اتبعوكم وكنتم دعاه لهم.

وفّقكم الله لئن تكونوا على ذكر من بناء وتهذيب انفسكم كما أنتم على ذكر من دنياكم، فإن هذّبتم نفوسكم تبع ذلك كلّ شيء وكان الله ممدّكم ورازقكم.

* * *



الدرس السادس والأربعون

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]

العفو الالهي

يعفو الله تعالى عن المذنبين ، وعفوه من أجل أن لا ييأس العبد من رحمته تعالى ، واما العذاب فيقول للانسان بلسان الحال : اذهب فأنت مطرود عن رحمة الله ، وهذا الكلام انما يفهمه الانسان اذا انقطع عن رحمة الله ، وليس فوق هذا العذاب عذاب ، وليس في هذا العذاب ظلم للعباد ، فلو أنزل الله المطر على أرض ولم ينزله بعد لم يكن ذلك ظلماً لها ، لأنّه ليس لأحد استحقاق على الله ، ولان العذاب الالهي نظير ما يصنعه الأبوين عندما يعجزان عن نصح ولدهما فيقولان له : اذهب فنحن ابرياء منك ولا نتكفّل تربيتك وادارة شؤون حياتك ، والخذلان الالهي أشد وأمّر من ذلك بألف مرّة ، لا قسم الله لكم ذلك .

ان الانسان لو أدرك الخذلان لم يفكّر بالمعصية أبداً ، لأن ما ترون من عدم خوفنا من الله انما هو من اجل أننا لم نر الله بأبصار قلوبنا .

انّ الاطمئنان النفسي هو من رحمة الله تعالى ، فإن فقد الانسان هذا الاطمئنان لكان شبيهاً بالمجانين بل أشد منهم جنوناً .

* * *

---

(١) البقرة : ٥٢ .

الصلاة الواقعية

ان الانسان كالبركان الناري ، وأن هذه العبادة هي التي تطفي هذا البركان الناري وإلّا كنّا أسوء حالاً من فرعون ومعاوية ويزيد .

فهل صلّيتم صلاة تنهاكم عن الفحشاء والمنكر قط ؟ فأيّنا لو كان مطلق العنان لم يرتكب محرماً واحداً ؟

فإن ارتكب الانسان المحرمات لم تكن صلاته صلاة لأنّ : ﴿**الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾[1] ، هذا كلام الله تعالى وهو حقّ ، فكيف بنا ونحن نصلي ونرتكب المئات من المآثم ؟

* * *

العذاب الإلهي ومنع الرحمة

إن الرحمة والعفو الالهي تشمل العباد جميعاً ، فإن العالم لو اشتعل ناراً عذاباً منه تعالى لم يكن ذلك ظلماً.

إن عذاب الله ليس تسيلط النار على الانسان ، بل العذاب هو أن يمنع عنه الهواء ولا تخرج الأرض زرعها ، وعندما يفهم الانسان أن هذه من النعم يكون قد فات الأوان ، لكن الله يعامل عباده بالعفو والمغفرة ، وفّقكم الله للابتعاد عن الذنوب والمعاصي وتركها .

إن الانسان إذا اطمئن إلى شخص وكان معتمداً لديه يفشي له بأسراه .

لقد كان المنافقون يقولون في رسول الله صلى الله عليه وآله : ﴿**هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيرٍ لَكُمْ**﴾[2] ، فقد كان صلى الله عليه وآله يعرف هؤلاء المنافقين لكنّه لم يفضحهم ، وهذا هو عين الكمال العملي والعلمي .

* * *

---

(١) العنكبوت : ٤٥.

(٢) التوبة : ٦١.



﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ....﴾[1]

التوحيد

إن للايمان درجات ومراتب ، فإن كان الايمان مستقراً لم تؤثر الحوادث والابتلاءات في ذلك الايمان قط ، أي أن الايمان النابع من تعاليم الاسلام ليس للذنوب والمعاصي والخطط الشيطانية إليه من سبيل ، فان لكلمة «لا اله إلّا الله» الشريفة والتي وعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلاح قائلها ـ« **قولوا لا إله إلّاالله تفلحوا**»[2] ـ ذلك التأثير لكن بشرط الصدق في قولها ، لا أن يكون للانسان آلهة وأرباباً ومع ذلك يقول : « لا اله إلّا الله » لكن هذه الكلمة على ظاهرها ذات بركة وأثر بالغ ، وأما حقيقة هذه الكلمة فهي بمعنى الصلح العالمي ، أي ان الانسان لو كان موحداً وترك الآلهة والأرباب وكان عبداً لله تعالى وحده حينئذٍ سوف تستقيم الأمور جميعاً .

إن ما بذله الأنبياء جميعاً من جهود ليس إلّا لأجل تهذيب النفوس ، فإنك

---

(١) البقرة : ٥٢ .

(٢) المناقب لابن شهراشوب ١ : ٥٦ .

لا ترغب في تشكيل العلاقة مع الانسان الكاذب الذي يكون من أهل المكر ، بل ترغب في تلك العلاقة مع الانسان الصادق المهذّب لنفسه ، ومحبّتكم للنبي وأهل بيته عليهم السلام هي من هذا الباب ، وذلك لأنهم معدن العلم والحكمة والفرقان ، لا يُخلفون الوعد .

انّ تعاليم الاسلام جاءت من أجل أن تعصم الانسان من همزات الشياطين ، وتُوجد في الانسان حس الادراك للحقائق ، وعدم الاعتناء بالشيطان .

❊ ❊ ❊

تهذيب النفس والغنى عمّا سوى الله

اذا اشتغل الانسان بإصلاح وتهذيب نفسه يلهى عما سواها فلا يفكر في أن فلاناً ماذا سيفعل لعدم سنوح الفرصة .

ان الانسان المهذِّب لنفسه هو الذي يكون من شيعة علي عليه السلام ، فهو يحاول في الماديات الابتعاد عن المعاصي ، وإن لم يتمكن أحد أن يكون كعلي في زهده وتقواه .

ان من يقول **﴿إيّاكَ نَعبُدُ وَإيّاك نَسْتَعِينَ﴾** وهوكاذب ويعلم أنه كاذب لا يتمكّن من تهذيب نفسه لأن الكذب لا يهذب الانسان ، وقد رود في الروايات أنّ الانسان اذا اشتغل بنفسه وزكّاها وأصلح الذي بينه وبين الله ، أصلح الله ما بينه وبين الناس ، حينئذٍ يعلم ان الله موجود ويكون مشهوداً له وهذه نعمة لا اعظم منها نعمة .

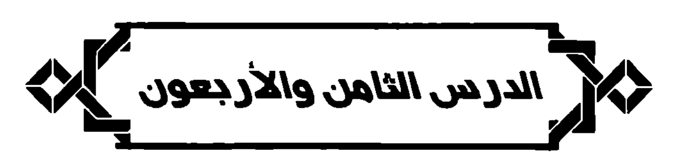
ان الانسان اذا توكّل على الله لم يكن يخش إلّا الله ، فعلى الانسان مجاهدة

نفسه ، ذلك أن : ﴿**الّذينَ جَاهَدوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[1] ، وما تلك الهداية إلّا ببركة رسول الله صلى الله عليه وآله ، بل العالم بأسره هو من بركات وجوده الشريف ، حتى مثل مجلسنا هذا وثورتنا ، ومآل ذلك جميعاً إلى الرحمة الإلهيّة .

انّي اعتقد ان من يقول : « لا اله إلّا الله » صادقاً لم يكن يفكر بعدها بشيءٍ من أُمور الدنيا ولا يتعلّق بها أبداً ، وفّقكم الله لنيل مثل هذه النعمة لتستغنوا عن كلّ ما سوى الله ، وعرّفكم مساوىء ومعايب نفوسكم لتفكّروا في اصلاحها ، وعليكم ان لا تيأسوا من رحمة الله الواسعة ، ولا تظنّوا أن الله لا يرد من أقبل إليه ، فإن الإنسان لو عصى الله ألف عام ثم آب إلى الله ورجع إليه صادقاً في توبته لم يطرده الله من باب رحمته .

* * *

(١) العنكبوت : ٦٩.



﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ ....﴾

العقل والاتصال بالله

ان جميع النعم التي وهبها الله للانسان والتي فيها كماله هي من باب الرحمة لا الاستحقاق ، فإنه لا حقّ لأحد على الله .

ثم ان النعم متفاوتة ولبعضها على البعض الآخر درجة ، وأحدى تلك النعم التي لها الفضل على ما سواها هي نعمة العقل الذي اودعه الله في الانسان ، والعقل هو الرابط بين الانسان وربّه ، وهذه العلاقة بينهما تكون سبباً في تهذيب الانسان لنفسه بمعنى أن النفوس لو التفتت إلى العاقلة فيها لأدركت الكمال المعنوي من الولاية والنبوة و...، وما تشاهدوه من تهذيب الأنبياء والأولياء والصلحاء لأنفسهم انما هو بسبب العقل « **أوّل ما خلق الله العقل** »[1] فللعقل في المرتبة الاولى من الفضل والأهمية وهو الذي خاطبه الحق تعالى بقوله : « **ما أكملتك إلّا فيمن أُحب** »[2] وما ذلك إلّا بلطفه تعالى وحسن عناية ، فالانسان ينال بسبب العاقلة أعلى مراتب الكمال .

* * *

(١) بحار الأنوار ١ : ٩٧ .
(٢) أصول الكافي ١ : ١٠ .

النعمة الإلهيّة

ان جميع النعم الإلهيّة هي رحمة منه تعالى لعباده، وقد يرد في ذيل بعض الأدعية قوله: «برحمتك يا أرحم الراحمين» أي إلى رحمتك تعود جميع النعم، فما وهب الله من العلم والقدرة مآله إلى رحمته تعالى بالانسان. وقد تتخذ بعض النعم صبغة الاعجاز في الخلق، أي لا يتمكّن الانسان من الاتيان بمثلها.

ومن تلك النعم الإلهيّة نعمة التوحيد، فلا يظن احدكم ان في الاعتقاد بالتوحيد أو امتثال أمر الصلاة والصيام مشقّة على الانسان لأنها جميعاً من الرحمة، فإن الانسان اذا اقام الى الصلاة نهته صلاته عن ارتكاب المنكرات وكانت سبباً في عروجه وتكامله النفسي ويكون مالكاً للعقل لا لهوى النفس الذي يذهب بالانسان المذاهب، فإن كانت النفس في عقال العقل لم يرتكب الانسان الحرام ويصلح أمره، فالانسان ببصيرة العقل ينال القرب ويكون اكمل الموجودات وأشرفها.

ينتفع الانسان بمقدار همّته من النعم المادّية والمعنوية التي انتفع بها الأنبياء والأولياء والأتقياء في هذا العالم، فلا يقنع أحدكم باليسير من رحمة الله، بل لينتفع هو ويفيض على الآخرين.

لو أن الانسان تأمل في تلك النعم لوجدها جميعاً من آثار الحق تعالى، وأن المانع في نزول تلك النعم هو الانسان نفسه، فالجهل واتّباع الشهوات كله يمنع من ادراك الانسان للحقائق ومن مشاهدة الله تعالى الذي اغدق على الانسان هذه النعم الوافرة.

انّ يد الانسان وعينه وأُذنه وكل عضو فيه هو من النعم الإلهيّة التي لا يعرف الانسان قدرها إلّا بفقدها، فهو يعرف قدر شبابه إذا أمسكوا بيده وأنهضوه من الارض أو صبّوا الماء في فمه، وفّقكم الله للاستفادة التامّة من هذه النعم.

* * *

الدرس التاسع والأربعون

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]

لئن شكرتم لأزيدنَّكُم

انّ شكر النعم الإلهيّة يوجب ازديادها ووفورها ، فشكر العلم الذي وهبه الله للانسان ـ سواء كان بالتعلّم أو مفاضاً منه تعالى ـ هو تعليمه الناس وارشادهم سبيل الهدى ، فإن شكر العلم يوجب زيادته ، وهكذا المال فإن شكره هو إيقافه في سبيل الله .

إن معاجز الأنبياء كالاحياء والإغراق لفرعون و... كلّه لا يتيسّر إلّا بالقرب الإلهي لأن الانسان إن كان شكوراً كان ذلك مقرّباً له من الله ، والذي يكون سبباً في هذا القرب أيضاً هو بذل تلك النعمة والجود بها في سبيل الله ، وبالقرب تحصل جميع البركات الإلهيّة ، و أما كفران النعم فانه يوجب ابتعاد الانسان عن الله تعالى ، والكفر بالنعمة يعادل المعصية ، فلو ابتعد الانسان عن الله بسبب المعصية حُرم من بركاته تعالى .

---

(١) البقرة : ٥٢ .

فالشكر يوجب زيادة النعمة والكفر يوجب حرمان الانسان منها ، والشكر أيضاً يوجب القرب الإلهي ، وهذا القرب بالنسبة للأنبياء له آثاره الخاصة وبالنسبة لمن سواهم له آثار أدنى مرتبة من تلك ، والذي يوجب زوال النعمة عدم صرفها في الإصلاح والعمران وسائر السبل التي فيها قرب إلهي ، ومن هنا ذهب الله بملك فرعون وثمود وعاد ، قال تعالى : **﴿اَلَمْ تَرَ كيف فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ اِرِمَ ذاتِ العِمادِ الّتي لم يُخْلَقُ مِثْلُها فِي البِلَادِ وَثَمُودَ الّذِينَ جابُوا الصَخْرَ بِالوادِ وَفِرعَونَ ذِي الأَوْتَادِ الّذينَ طَغَوا فِي البلَادِ فَأكثَرُوا فِيها الفَسادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ ربِّكَ سَوطَ عَذابٍ إنَّ ربَّكَ لَبالمِرصادِ﴾**[1]

* * *

البلاء وبناء النفس

إن البلاء رحمة للمؤمن وفيه تهذيب للنفس ، ففي الحديث أن « أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأمثل فالأمثل »[2] ، وهذا التهذيب أمر لازم وضروري للانسان قبل هداية الناس وارشادهم .

إن قلت : أي حبٍ هذا الذي يكون فيه البلاء للأنبياء والأولياء ؟ أقول : انّ في البلاء تهذيب نفوسهم وهو نعمة بالنسبة اليهم ، وبدونه لا يتكامل الانسان ولا يكون الهياً ، وأما الانسان المرفّه في العيش فيبقى في درجته في دار الدنيا ، فلا يظنّ أحدكم أنه لو أُوذي وتحمل ذلك في سبيل الله يكون ذلك بلا أجر ، بل الله تعالى سوف ينصره .

ان هذه النعمة التي بأيدي المؤمنين من العلم وغيره لو كانت بأيدي

---

(١) الفجر : ٦ ـ ١٤ .
(٢) أصول الكافي ٢ : ٢٥٣ .

الأشقياء واتباع الشيطان لتبدّلت إلى نقمة وعذاب ، وهذا هو الفرق بين المـؤمن وغير المؤمن وشكر النعمة وكفرانها .

ان الانسان وبتأييده تعالى يبني نفسه ويكون موحّداً ويطهر من الشـرك ، لانّ العبد عندما يقول : ﴿**إيّاكَ نَعبُدُ وَإيّاك نَسْتَعِينَ**﴾ يعترف بعبوديته لا عبودية من سواه فإن كان صادقاً أعطاه الله ما يريد وجعل العالم في قبضته وهذا لا يتيسّر إلّا بتأييد من الله .

إن الأنبياء والأولياء هم من آيات الله تعالى ، أي إنه لا يستطيع أحـد مـن تربية نبي ، فالنبي من آثار عظمة الله ومن شواهد المبدأ الحق .



الدرس الخمسون

﴿وإذْ قُلْتُم يَا مُوسَى لَنْ نُؤمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُم الصّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾

فقر الممكنات

لما أراد الانسان أن يكون موحّداً أراد أن يعبد إلهاً يراه بعينه ويكون محسوساً لديه فقد طلب بني اسرائيل من نبيّهم أن يروا الله جهرةً.

أقول: ان الإله الذي يرى بالعين هو محتاج فقير مثل البشر، فكلكم محتاج إلى الله لكن لا الى الله الذي هو محسوس[1]، وقد قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: « **هل رأيت ربَّك؟ قال: رأيته بحقائق الايمان**»[2]، وهذا المعنى لايدركه إلّا من تزكّى، ولا يدركه الانسان إلّا بعد فوات الأوان وانقطاع الرحمة الإلهيّة، فانّه بزوال الرحمة الإلهيّة يكون العالم فناء محضاً.

ان الانسان إذا فعل خيراً وعملاً صالحاً فليعلم ان ذلك كان بتوفيق وتسديد من الله وأنه لو سلب ذلك التوْفيق منه لما تمكّن من القيام بمثل تلك الاعمال،

---

(١) كونه محسوساً يزيده فقراً إلى فقره.

(٢) توحيد الصدوق: ١٠٩ ح ٦.

ولما تمكّن من أداء الصلاة والصيام ولا الذهاب إلى المساجد ، فليعلم ان جميع النعم منه تعالى فلولا رحمته تعالى لما عاش الانسان ولما طرف له طرف ، ولما كانت الشمس ولا الارض ، ولما قرّ للانسان قرار ، وفهم هذا الأمر صعب للغاية ، لكنه امر واقع .

إن الانسان يتصوّر انه ما لك لكل شيء فلما قيل لقارون : **﴿إبْتَغ فِيمَا أتَاكَ اللهُ الدارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبكَ مِنَ الدُّنْيا وَأحْسِنْ كمَا أحْسن الله إليك﴾** قالَ: **﴿إنَّما أُوتيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي ...﴾**

* * *

الله مبدأ الأرزاق

لابدّ للانسان أن يعلم بأن الرزق و تحسين الوضع الاقتصادي من الله تعالى ، فلو تغير مسير حركة الأرض لاختلّ الليل والنهار وسائر فصول السنة ولما كانت النباتات ولا المعادن ولاختل نظام كل شيء حتى الانسان ، فالرزق من الله لكن الانسان يسعى إلى تحصيله بإعمال أسباب الحلال والحرام ، فالتاجر إن لم يكن رأس ماله من الحلال لم تكن تجارته رابحة ، وكذلك الصانع فانه لو لم يجعل الله مواد صنعته تحت اختياره لما تمكّن أن يصنع شيئاً ، ولكن الانسان انما يدرك هذه الحقيقة بعد فوات الأوان .

ان الرحمة الإلهيّة لو انقطعت عن الانسان لزالت جميع البركات والنعم الإلهيّة ولا يقدر الانسان ولا أي قدرة عالمية حتى امريكا على ردّ تلك النعم ، فالانسان يعجز عن أن يدّب الحياة في سنبلة ميّتة .

انّ الانسان لو علم بأن جميع بركات الارض من الله وان كل عمل صالحاً

كان أو طالحاً له جزاءه ، فالذي يقول : مكرت بفلان على خطأ لأنه في الواقع مكر بنفسه لتعلّق حقّ في ذمّته .

والحاصل : انّ بني اسرائيل طلبوا من موسى أن يريهم ربّهم وهم لا يعلمون ان الإله لو كان محسوساً لكان فقيراً ، قال تعالى : **﴿يَا أَيُّها النّاسُ أَنْتُمْ الفُقَراءُ إِلى اللهِ﴾**[١].

ان الامور المعنوية كالمادية هي لله تعالى ، فمعنوية الأنبياء من الله .

لو أن عبداً ابتلى بالعذاب الالهي يجد ان كل مالديه يؤخذ منه ، فينقطع عن الحياة ويفنى ، ولو كان الانسان يعلم بأن كل هذه النعم من الله وأنه نار ليس إلّا ، وأنه كالنار التي يحرق بها الشرق والغرب الكرة الأرضية ، غاية الأمر ليس لنا مالأُلئك من قدرة ، بل حد قدرتنا هو الاعتداء على الجار لااكثر .

ورد في الحديث أنّ «إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله»[٢] ، لو أُعجب الانسان بإيمانه أو عدله أو تقواه فذلك دليل على ضعف عقله ، لأن ذلك كلّه ليس من عند نفسه ، فهذه الفضائل مودعة عنده إلى أن يشاء الله بقاءها أو زوالها عنه ، لا يظن الذي يكون أميناً عفيفاً منفقاً رؤوفاً أن ذلك منه ، فإنه لو تأمّل بدقّة لوجد أن كل ذلك من نعم الله وبركاته ، فعلى الانسان أن يطلب حاجته من الله فقط لفقره فهو لا يكون غنياً في كل أحواله ، لكون الناس جميعاً حتى الأنبياء هم الفقراء إلى الله .

إن من كمال الانسان طلبه الحاجة من الله ومدّيد الفاقة إليه ، لأن كل شيء من الله ، فالذي يدّعي ان الكمال كماله يكوننظير من يعطي لشخص مبلغاً من

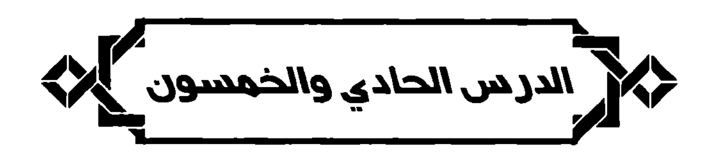
---

(١) فاطر : ١٥ .
(٢) أُصول الكافي ١ : ٢٧ .

المال فيتبجّح الذي يأخذ المبلغ بأن فلاناً أعطاني المبلغ الكذائي .

إن الانسان لو فهم معنى كلمته « لا إله إلّا الله » لعرف أن المصلح لامور العالم هو الله ، وان ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله أن «**قولوا لا إله إلّا تفلحوا**» لا يختص بذلك الزمان فحسب .

❊ ❊ ❊



﴿وإذْ قُلْتُم يَا مُوسَى لَنْ نُؤمِنَ لَكَ حَتّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُم الصّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾

الثقة بالله في قضاء الحوائج

ان الانسان يريد أن يكون موحداً وفي الوقت نفسه يريد أن يكون الله كما يحب يرغب ، وذلك بأن يكون محسوساً ، وهذا لايمكن إلّا يكون وجود الله مادياً محسوساً ، فأنّه تعالى يرى بالأبصار بل «رأته القلوب بحقائق الايمان»[1] ، لأنه ان كان محسوساً لابدّ أن يكون مادياً له ما للانسان ، وكذلك يكون مفتقراً إلى الغير ، وليس الفقر هو الفقر إلى المال بل الفقر العلمي والفقر إلى الحياة وغيرهما .

ان جميع النعم ظاهرة وباطنة من الله ، وان الانسان من رأسه إلى قدمه مفتقر إلى الله ، وعليه أن يعلم بأن «طلب الحاجة من المحتاج سفه»[2] ، لأنّ المحتاج صار غنياً بفضل الله ، فلا ينبغي للانسان الثقة بغير الله ، وليس معنى ذلك العزلة عن المجتمع بأن يجلس في زاوية في الدار ولا يسمح لأحد الدخول عليه ، ذلك ان

(١) توحيد الصدوق : ١٠٩ ح ٦.
(٢) الصحيفة السجادية الجامعة : ١٤٤ ، الدعاء : ٧٤.

الأنبياء عليهم السلام مع ما لهم من كمالات نفسية كانوا يعيشون في وسط المجتمع.

إن الانسان إذا صار موحداً هيّىء له الله كلّ شيء مما يحتاج إليه من أُمور حياته، لكن بشرط أن يقطع وشائج الفاقة إلى الغير، فلا يقول: قضى لي فلان العمل الكذائي وعافاني فلان طبيب وغير ذلك، فلا ينقطع من المجتمع، بل تكون علاقته به علاقة إلهية حينئذٍ يتكفّل الله قضاء حوائجه. فالعلاقة الاجتماعية لابدّ أن تكون علاقة الهية قائمة على اساس دعوة الأنبياء في المجتمع من نجاة البشرية وارتقاء الثقافة والعلم والثقة بالله تعالى في قضاء جميع الحوائج.

* * *

في الرابط بين الانسان والله تعالى

انّ العقل هو الرابط بين الانسان وربّه، الله تعالى محسوس لا بحس البصر، بل ببصيرة العقل الذي قال الله فيه: «ما خلقت خلقاً أحبّ الّي منك»[1]، وهذا يدلّ على منزلة العقل الرفيعة التي تفوق فضل الشمس والقمر، لأن الذي يتمكن من معرفة الله هو العقل دون النفس التي هي منشأ البركان الناري، وهذا بخلاف العقل فانه ليس نارياً لأنه الذي كان لدى الأنبياء والاولياء، وفقّكم الله لاغتنام نعمة العقل ورزقكم ما يورثه من آثار إلهية كما ورث تلك الآثار الأنبياء.

لو أدرك الانسان معنى العذاب الالهي لكان خوفه من الله أكثر من كل أحد، لكن رحمته الواسعة لم تدع لنا فرصة ادراك معنى العذاب.

إن العقل هو الشيء الوحيد الذي يجعل الانسان من أهل الجنة ويبعده عن

---

(١) أُصول الكافي ١: ١٠.

فعل المعاصي وأن الذي يلقي بالانسان إلى النار هي النفس والشيطان .

وفي خطبة وصف المتقين لأمير المؤمنين عليه السلام ، أن المـتّقين هـم الذين تكون «شرورهم مأمونة»[1] ، أي ان لهؤلاء نار لكنها لا تحرق أحداً ، لأنهم يقطعون عليها الطريق ، ولكنهم يفتحون الطريق أمام الرحمة ، فلو وصل الانسان إلى مثل هذه المرتبة التي هذّب بها نفسه بحيث كانت نفحات نفسه نفحات إلهية جرى الخير على يديه وكان رأس الخير ومصدره ، واعلموا أن سبيل النجاة في سلوك سبيل أهل البيت عليهم السلام وأنه لا سبيل سوى سبيلهم ، فـإن أردتـم تهذيب نفوسكم فعليكم بإتباع أهل البيت عليهم السلام .

* * *

---

(١) نهج البلاغة ، الخطبة : ١٩٣ .

الدرس الثاني والخمسون

وهب الله تعالى جميع الماديات والمعنويات رحمة منه لخلقه ، وقد خلق في كل شيء نحو من الاعجاز بحيث لا يتمكن أحد من الاحاطة بأسرارها واسرار الكون ، فكيف يقال بعدم وجود إله وهذه كلها من مواهبه ؟ قال تعالى : **﴿وَاللهُ يَخْلِقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ﴾**(١) ، فهل يستطيع الشرق والغرب أن يخلق ذباباً ؟

اذا كان الكون مخلوق على أحسن نظام فمن أين هذه النواقص وما هو منشأها ؟ ان منشأ ذلك هوى الانسان ، الذي لابدّ أن يعبّر عنه باللّاانسان ، لأن الانسان لا يصدر منه الخير بل يصنع صواريخ عابرة للقارات .

قد يدعي الانسان أنه من اشرق الكائنات ، فما هذا الشرف ؟ فأي ذئب أضرى من هذا الانسان أو بالأحرى « اللّاانسان » ؟!

لقد خلق الله الأنبياء والأولياء والاتقياء رحمة لكونهم خلائق في الارض التي صار فيها الانسان منشأً للشرور واشعال النار وبعد ذلك يقول أفعل ما أشاء وما أُحب ، ويقول : لابدّ من حرق البلاد ما دمنا أقوياء ، فإذا كنتم أقوياء هل يعني ذلك القضاء على كل شيء ؟

ان الانسان موجود ضعيف ، اليوم قوي وغداً يترجّى من الناس أن يناولوه قدحاً يشرب ماءً وليس ذلك اليوم ببعيد .

لقد أُمهل فرعون فما آمن حتى فات الأوان وأُغرق قال آمنت برب موسى

---

(١) البقرة : ٢١٢ .

يعطى غير فرعون هذه الفرصة فان لم يصلح نفسه فهو موجود فاسد .

* * *

الاديان السماوية وتهذيب الانسان

ان الغرض الذي يتوخّاه الأنبياء من رسالتهم هو تهذيب النفوس البشرية والحدّ من نارية الانسان ، فإن تمكّن الانسان أن يقف امام هواه لوقع كل شيء في مسيره الطبيعي ، فالانسان هو المانع في كمال نفسه لكنه لا يعلم ، فعليه اصلاح نفسه لأن كل شيء فيه من عينه إلى لسانه إلى قلبه يعمل في غير رضا الله ، وفي الصلاة تهذيب النفس ﴿**الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾[1] فإن لم تنهَ عن الفحشاء لم تكن بصلاة وإن يتصور الانسان أنه صلّى .

إن لم يعتنِ الانسان بكلام الأنبياء يموت بعد سبعين سنة من عمره في عسر وضيق وعذاب ، فإن مات على هذا الحال لم يكن انساناً .

لقد أُعطي الانسان كل شيء لكنه لم يرفع يده عن سبعيّته ، فالانسان ـ مادام الشيطان موجوداً ـ يفعل ما يشاء ولكن غداً إذا لم يكن الشيطان يُضرب الانسان على رأسه ويقال له : ﴿**ذقْ انَّكَ أنْتَ العَزيزُ**﴾[2] .

اذا لم يصلح الانسان نفسه اليوم لا يتمكّن من ذلك غداً ، وان تردد على مثل هذه المجالس خمسين مرة ، بل يبقى اللسان هو لسان الكذب والعين هي عين الخيانة .

وفّقكم الله جميعاً لعبوديته ورزقكم معرفته واتباع أنبياءه ، وجعل همّكم صلاح أنفسكم .

* * *

---

(١) العنكبوت : ٤٥ .

(٢) الدخان : ٤٩ .

الدرس الثالث والخمسون

«وَأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك»[1]

القلب والعين واللسان

سُئل أمير المؤمنين عليه السلام: هل رأيت ربَّك؟ فقال: «ماكنت أعبد ربّاً لم أرَه»[2] فالبصيرة بصيرة القلب التي يرى بها الانسان ربّه، لكونه تعالى منزّهاً عن إدراكه بالابصار، فمعرفته تعالى ومعرفة صفاته من العلم والارادة والقدرة لابدّ أن تعرف وتدرك ببصيرة القلب ذلك ان العالم بأسره آثار على ظهوره تعالى وجلاء نوره «عميت عين لا تراك»، فكل الموجودات هي من آياته تعالى ومظاهر قدرته الدالة على وجوده.

ان ماأعطى الله الانسان من قدرة لابدّ أن يصرفها فيما يرضيه لا في الباطل كما يفعل الجهلة من الناس، فالصواريخ لابدّ أن تستعمل في سبيل الحق، ولكن الانسان لا يصغى إلى ذلك.

لقد اعطى الله القدرة للانسان وقال له: لا تكذب فيكذب، ولا تعتدي

---

(١) مفاتيح الجنان: المناجاة الشعبانية.

(٢) توحيد الصدوق: ١٠٩ ح ٦.

فيعتدي ، ولا تغتر فيغتر .

إن للقلب عيناً ، كما ان لقلب النبي صلى الله عليه وآله عيناً يخبر بها عن أخبار آخر الزمان ، فأُذن القلب تسمع نداء الغيب لكننا محرومون من هذه النعمة بسبب المعاصي لكوننا عباد الهوى والشيطان ، فمتى نكون عباداً لله ؟ جعلكم الله من عباده ، ورزقكم بصيرة القلوب وسمعاً ، وهذه حقيقة ، لكن حيث اننا نفقد ذلك نقول هذا الكلام لا واقع له ، ان أهل المعرفة لهم ذلك ، إلّا أنه وبتوفيق من الله يمكن ان نكون عباداً لله اذا تركنا الهوى والشيطان ، فان كل من صار لله عبداً رزقه الله عيناً غير عين رأسه وسمعاً غير سمع أُذنه ، فالقلب مهبط المواهب الإلهيّة والمعارف وعلوم الاسلام من فقه وأخلاق .

* * *

معرفة الله

ان العيب كل العيب فينا ، لأننا نريد أن ننال بركات السماء بشيطنتنا ولذا لا نحصل على تلك البركات ، فلو سار الانسان طبعاً لتعاليم السماء لم يحرم من تلك البركات فان الذي يعرف الله يهون في نفسه الشرق والغرب «**عظُم الخالق في أنفسهم وصغر ما دونه في أعينهم**»[1] ، فان الانسان لو عرف الله لما قبّل أيادي الطواغيت وما ذلك إلّا لجهل الانسان ، لأنه ان رأى الله هان في عينه كل شيء ، فان الكمال المطلق لله ، وان كل جميل هو جميل بالله .

غير أننا لا نعرف رباً لذا تجد أحدنا يقبّل ايادي هذا وذاك ويفعل ما يفعل ثم يذهب إلى اسفل السافلين ، لكن العبودية لله مقرونة بمعرفته دائماً .

---

(١) نهج البلاغة ، الخطبة : ١٩٣ .

ان الانسان مخيّر في سلوك طريق الجنة لقوله تعالى : (**إنّا هَدَيْنَاهُ السَبيلَ إمّا شَاكِراً وإمّا كَفُوراً**﴾[1] ، وهذه حجة بالغة على الجميع .

ان الناس على طوائف ثلاث : فطائفة هم الأنبياء واخـرى الطـواغـيت ، وثالثة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فان اردت التوفيق فكن في عصبة الأنـبياء ومن أتباعهم ، فكم بذل الأنبياء من جهود من اجل هداية البشرية .

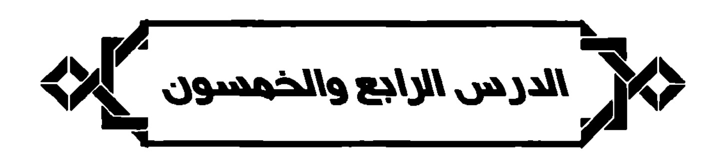
اننا فقراء إلى الله كما ذكر في كتابه العزيز : ﴿**أنْتُم الفُقَراءُ إِلى اللهِ**﴾[2] وأن الله هو الذي بإمكانه اصلاح فقرنا وليس طلب الحاجة منه من نوع «**طلب الحاجة من المحتاج سفه**»[3].

وفّقكم الله إلى الهداية ببركة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ورزقكم علماً وعملاً نافعاً ، وكفاكم شرّ الشيطان .

* * *

---

(١) الانسان : ٣.
(٢) فاطر : ١٥.
(٣) الصحيفة السجادية الجامعة : ١٤٤، الدعاء : ٧٤.



«إلهي قلبي محجوب، وعقلي مغلوب، وهوائي غالب ...»

نور العقل

العقل هو موجود مجرّد كان موضع العناية الإلهيّة لكن بشرط ان لا يتبع الانسان هوى نفسه أو الشيطان، إذ لا تتحقّق معرفة الله إلّا بتوسط نورانية العقل فهو الذي تعرف به الاشياء كما هي لا معرفة الوهم والخيال.

ان العاقل لايكذب ولا يعصي الله و لايخون، فعن الصادق عليه السلام انه قال: **«العقل ما عبد به الرحمن وا كتسب به الجنان»**[1] لقد دعى الله البشر إلى طاعته وعبوديته بواسطة العقل، لان العقل يقول: لا تكذب ولا تخن ولا تفتري، ويقول: احفظ لسانك وعينك واذنك من الحرام.

ان العفة والعدالة والولاية والنبوة كلها من بركات نورانية العقل، وليست الغفلة من العقل، وأن العقل هو الذي يعصم عن ارتكاب المحارم والمعاصي.

* * *

(١) أصول الكافي ١: ٢٥.

حكومة العقل

ان العقل هو المنفّذ المباشر لأوامر السماء ، لذا تجد ان العقل يحلّ جميع المشاكل الاجتماعية طبقاً لتعاليم السماء ، ومن ثم يتكامل العقل بظهور الامام الثاني عشر عليه السلام .

ان الانسان الكامل يعرف بسبب نورانية العقل الكفار والملحدين والمنافقين ، فالعقل نور لا نار ، فهو رحمة و بركة ، لكن من المؤسف ان الانسان وبإتباعه للهوى يضطر العقل ـ الذي هو أعظم نعمة الهية ـ إلى اتباع النفس النارية .

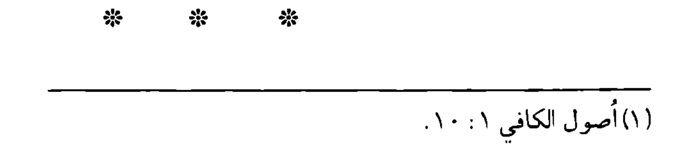
ان طاعة الشيطان والغفلة عن ذكر الله يؤدي إلى زوال نور العقل ، فلو لم يتأثر الانسان بوساوس الشيطان والنفس يكون العقل حينئذٍ حاكماً والنفس محكومة به ، فانه بالعقل يسكن الانسان الجنان .

لقد ورد في الحديث القدسي : **«ما خلقت خلقاً أحب اليّ منك»**[١] ، فالعاقل هو الذي يعبد الله ويدين بولايته المطلقة لقد اتبع الأنبياء العقل ولم يسّودوا صحائف اعمالهم بالذنوب ، فإن للعقل قدرة على مواجهة وساوس النفس .

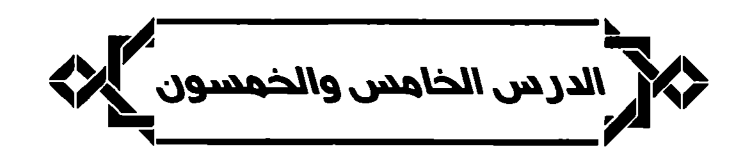
ان الانسان على نفسه بصيرة ، وهو يعلم انه ليس عبداً للنفس بل هو عبد لله ، وهذا النحو من الادراك من بركات العقل .

انّ ربّ العائلة وقيّمها لو طهّر نفسه وتحلّى بملكات وفضائل الهية لا قتدى به أهله ومن يعيش معه ، وهذا افضل اسلوب في التربية ، وهكذا كان ائمة أهل البيت عليهم السلام .

❋ ❋ ❋



(١) أصول الكافي ١ : ١٠ .



الدرس الخامس والخمسون

العقل جوهرة

ان العقل من اعظم نعم الله تعالى ، وهو اعظم مخلوق خلقه الله ، فالتوحيد والنبوة والولاية والامامة كلها تحصل في ظل نورانية العقل ، فليس معرفة الله كمعرفة الامور والاشياء الخارجية من انطباع صورة الشيء الخارجي في الذهن ، لا أنّ الصور الذهنية ـ فيما يتعلق بتصور الله تعالى ـ مخلوقة للذهن وليست من معرفة الله في شيء بل تحصل معرفة الله بسبب نورانية العقل وبصيرة الايمان .

ان الصورة الذهنية هي مخلوقة للنفس وان الله منزّه عن مثل هذه الادراكات ، فالإنسان انما يصير موحداً ومن اتباع الولاية الحقة ببركة بصيرة الأيمان ونورانية العقل لابسبب الصورة الذهنية او المعرفة المكتسبة ولو كانت بالمعنى الخاص .

ان العقل نور بسيط محيط بجميع مراتب الوجود إحاطة تامة ، فأينما يكون العقل يكون معه النور والبناء والعمران وتهذيب الفرد والمجتمع .

ان الدنيا تحترق بنار الجهل والجنون ، وبالعقل ينجو الانسان من الشرك والكفر والظلم والاعتداء ، وقد تنزّه الأنبياء بنور العقل من سائر النجاسات الباطنية ولم يكن للاختلاف بينهم سبيل ، فهم ببركة هذه النورانية الباطنية حازوا علىٰ أعلى درجات التوحيد والعصمة وطمأنينة النفس

وسكونها، فعمل الأنبياء عليهم السلام له جذور ضاربة في نورانية العقل، لأنّ القوى العاقلة أول ما تُهذّب الانسان ثم هذا الانسان يهذّب ويصلح المجتمعات البشرية.

* * *

حكومة النفس وتسلّطها

انّما تشاهدون من القتل والاعتداءات والدمار وغير ذلك كلّه بسبب حكومة النفس واتّباع الهوى وعدم استعمال العقل، فهذه النار المشتعلة في العالم هي بسبب الظلمات الحاكمة على النفس غير العاقلة، فالجوهرة التي لا بدّ أن يكون لها الحكومة في الحياة الفردية والاجتماعية هي عبارة عن القوى العاقلة ونورانية العقل ليفلح الانسان بهما، إذ كل البلاء هو بسبب فقدان العقل واتّباع الهوى المهلك والقاتل، وهذا ما تخوّف منه أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «انّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتّباع الهوى و....»[1].

انّ الفطن الأريب هو الذي يراقب نفسه ويحاسبها ليرى هل أنّ ما يفعله يطابق هوى النفس أو يطابق العقل؟

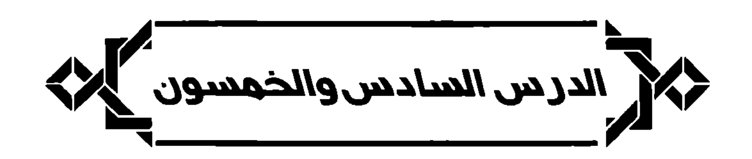
انّ اتّباع الهوى هو اتّباع للشيطان لكون النفس من مظاهر الشيطان، والعقل مظهر من مظاهر الرحمن، ولذا لا بدّ من تحديد الشيطان بطاعة الرحمن، والمسك بزمام أُموره، وإلّا فالشيطان يهلك الانسان ويؤدّي به إلى النار.

وقد كان الأنبياء عليهم السلام يدعون الناس بغير ألسنتهم، فهذا المنهج منهج عملي فما كانوا يكذبون ولا يخونون الأمانات، بل كانوا يدعون إلى عدم الكذب والخيانة.

* * *

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة (٤٢).



الدرس السادس والخمسون

ولاية الفقيه

انّ نعمة الولاية من أفضل النعم وأعظمها ، فالولاية هي التي يُسئل عنها الانسان يوم القيامة ، لأنّها تضمن سلامة الاسلام في أُصوله وفروعه ، فانّه بولاية الرجل الإلهي تزول جميع الحكومات الشيطانية ، وبولايته تتخذ الأُمور الاجرائية والتنفيذية ـ كالعلم والقضاء والسياسة والتربية والاقتصاد ـ في البلاد صبغة إلهيّة ، فالرجل الإلهي هو القائد وسائر الناس اتباع له ، فان كان القائد إلهيّاً كانت الرعية مثله .

ان الملاك الذي تثبت به الولاية والوصاية بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وآله هو بعينه الذي تثبت به ولاية الفقيه في زمان الغيبة ، وهذا الملاك هو عبارة عن صيرورة المجتمع مجتمعاً إلهيّاً .

انّ حاجة المسلمين في جميع شؤون الحياة الفردية والاجتماعية والسياسية تقتضي أن يكون لهم فقيهاً ووليّاً يولّى رعاية أُمورهم ، فكما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يوصي ويؤكّد على زعامّة المسلمين واتحادهم تحت ظلّ الولاية كذلك المسلمين اليوم بحاجة ماسة إلى ولي فقيهٍ،له ما للإمام المعصوم من السلطة التنفيذية المطلقة .

* * *

ولاية أهل البيت عليهم السلام

انّ الكتاب العزيز لا يضمن لوحده سلامة المجتمع الاسلامي الذي تحيطه الحوادث وتدور به الدوائر، لأنّه بعد وفاة النبي حدث ما حدث مع وجود الكتاب بين ظهرانيهم.

انّ الكتاب يحتاج إلى من يفهمه ويفسّره ويتعاهده، وهؤلاء هم أهل البيت عليهم السلام، فانّه لا يفهم الكتاب أحد سواهم، لأن فهم الكتاب ليس فهم العبارة من الناحية الأدبية والبلاغية فحسب، بل هو درك لحقيقة الكتاب، وهذا ممّا اختصّ به أهل البيت المعصومين عليهم السلام، واستدلال الأئمّة وحديثهم ليس من سنخ سائر الاستدلالات التي يستدلّ بها العلماء بل هو نور محض.

انّ الولاية تتحقّق بجعل من الله لا بإنتخاب واختيار من الناس، ولذا كان تنصيب النبيّ صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السلام بجعل الهي لأنّه كان يحذو حذوه، وهما معاً من المقرّبين عند الله.

ان الذين لم يعلموا بالأُصول والفروع وابتعدوا عن خط الولاية هم في الواقع ابتعدوا عن الاسلام وعن الحقائق، لأنّ أهل البيت عليهم السلام هم معدن العلم والحكمة، وهذا المذهب هو الذي يربّي الولي.

إن رضا ولي الله في تطورنا وحركتنا نحو الانسانية، فالأئمّة يمسكون بأيدي الناس ويسلكون بهم سبيل الهداية والنور، لأنّ معنى الهداية هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن الحضيض إلى أعلى عليين.

* * *

إدراك الحقائق

انّ سير الأنبياء التكاملي سير مطابق للحقيقة والواقع ، وبهذا السير يـرون الأشياء كما هي عليه ، ولذا ورد في الدعاء «اللهمّ أرني الاشياء كما هـي» ، ولم يؤكّد الاسلام على شيء كما أكّد على العلم وفهم الأشياء ، فانّ العالِم لا يكـون ضحية الجهل ونحن وان لم نتمكن ان ندرك الحقائق التي كان يـدركها الأنـبياء والأولياء لكنّنا نستطيع أن نسير في الاتجاه الذي سار فيه الأنبياء عليهم السلام .

ان الانسان إذا صار من آل الله عرف مطاب الشرق والغرب ، ولو ملك هواه ادرك حقيقة العلم التي هي نور محض بدون تعلّم .

ان طريق الأئمّة طريق العبوديّة لله ، طريق الصدق والعبادة والاخـلاص ، طريق الاستقامة والفلاح .

❊ ❊ ❊

الدرس السابع والخمسون

حطب النار

ان أعمال الناس هي جهنم بذاتهم ، بل الناس انفسهم هم حطب النار ، والانسان يخطط لنفسه لئن يكون في النار ، وأمّا الظَلمة فهم حطب النار ، قال تعالى : **﴿وأمّا القاسِطونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾**[1] ، فالظالم الرافع للواء الظلم هو من وقود النار وهكذا أعوان الظلمة هم وقود تلك النار أمثال فرعون وآل فرعون الذين هم حطب النار .

انّ منشأ جهنم الانسان هو هذه الدنيا ، وان النار لا تنفصل عن الانسان وأعماله يوم القيامة .

* * *

وظيفة الدولة الاسلامية

ان المرحلة الاولى من مراحل تحصيل الاخلاق هي تهذيب النفس ، وان الانسان أوّل ما يبعد النار عن نفسه ثم يبعدها عن أهله ومن ثم وفي المرتبة الثالثة يهذّب المجتمع ويحاول ابعاده عن النار ، والانسان الكامل هو الذي يطوى

---

(١) الجن : ١٥ .

تلك المراتب ، ومثل هذا الانسان له صلاحية إدارة المجتمع .

انّ من وظائف الدولة الاسلامية هو إبعاد الناس عن النشأة المادّية وسوقهم نحو عالم الغيب أو عالم ما وراء الطبيعة ، وأيضاً من وظائفها بسط العدل ونشر المعارف الغيبيّة البنّاءة ، فانّ من أعمال الأنبياء والسياسيين الإلهيين هو سوق المجتمع نحو التوحيد والعبودية وتفسير العالم والكون طبقاً لأصل التوحيد.

انّ الأنبياء والأولياء يضيئون كالشمس في رائعة النهار بسبب التهذيب والرياضات النفسانية بحيث كانوا يجذبون بنورهم كلّ من له استعداد الهداية وكان منهج الأنبياء والأولياء منهجاً عملياً لا نظرياً ، فكانت جميع أفعالهم وسكناتهم تعليم وهداية ، لقد كان الأنبياء والأولياء عليهم السلام ينظرون إلى الدنيا نظر الطريق والآلة ولا موضوعية للدنيا عندهم ، فهم لا يرفضون الدنيا ، بل لم ينغمروا فيها ، لأنّ الانسان الإلهي يتّخذ الدنيا من أجل خدمة الدين ، وهذا بخلاف المادّيين فانّهم يتّخذون الدين من أجل الدنيا .

*　　*　　*



﴿إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ عَلى السَّمواتِ والأرضِ وَالجِبال فَأبَيْنَ أنَ يَحْمِلنَها وَاشْفَقْنَ مِنْها وَحَملَها الإنسانُ إنَّه كانَ ظَلْوماً جَهُولاً﴾[1]

الانسان الكامل

لقد عُرضت الأمانة ـ الخلافة الإلهيّة التي كان الأنبياء والاوصياء متّصفون بها ـ على جميع الموجودات فأبين أن يحملنها فحملها الانسان لما كان يتصف به من مقام رفيع ، لأن مقام الخلافة الإلهيّة من المناصب الحقّة للانسان الكامل ، فالانسان بلحاظ كونه انساناً يميل ميلاً طبيعياً نحو المادة من المأكل والمشرب والمسكن والأزواج وهو في نفس الوقت يحمل سمة الخلافة الإلهيّة **﴿قُلْ إنّما أنا بَشَرٌ مِثْلَكُم يُوحىٰ إليَّ ...﴾**[2].

ان الانسان الكامل الذي هو خليفة الله و الذي نال مقام العصمة المطلقة و الطهارة التامة لا سبيل للشرك ـ الجلّي منه أو الخفي ـ إليه من سبيل ، فهو في

(١) الأحزاب : ٧٣.
(٢) الكهف : ١١٠.

جميع الأحوال معصوم.

ان الانسان مع ماله من ميول طبيعية نحو المادة هو اشرف من الملائكة، لأنه لا يوجد في الملائكة هذا الميل نحو المادة، ومن المستحيل ان يرتكبوا المعاصي ولكن الانسان مع ماله من ميل نحو المادة ينال مقام العصمة وهذا الكمال ذو قيمة يجعل من الأنبياء والأولياء أنواراً يهتدي بهم الضالون.

لقد خلق الله الشمس والقمر والارض والسماء من أجل الانسان الكامل الذي هو خليفته في أرضه، وقد هداه هداية خاصة بحيث صار يدعو إلى الخير والصلاح والصدق و الاخلاص، لكن الجهلة من الناس وقفوا بوجهه وأعدّوا له ما أعدوا من امكانات المحاربة، وهذا هو ديدن الجهلة ـ الذين يقفون بوجه كل دعوة اصلاح للأنبياء ـ في كل مجتمع، ولكن النبي أو الوصي على عدّته القليلة يهدد العالم ويطيح بكل المخططات، ذلك أن القيام بوجه الشرور النفسانية والنيران الباطنية والفساد هو من واجب كل نبي أو وصي، فالذي يتمكن من اصلاح المجتمع هو الانسان الصالح فقط.

❊ ❊ ❊

صف المواجهة لدى الانبياء

لقد كمن أعداء الانسانية للأنبياء ووقفوا صفاً واحداً في سبيل الاطاحة بهم، فلن يقرّ للأعداء قرار لأنهم لا يهمهم صلاح المجتمع، فكلما طلع نجم نبي أو وصي ليدعو الناس إلى الآخرة والكمال والعدل قام بوجهه سفهة الكفار وجهلتهم وأذنابهم من المنافقين والفسقه، إلّا أن الله نصر خليفته وأمره بالاستقامة فقال عزّ

من قائل: ﴿فَاسْتَقِم كما أُمرت﴾[1]، ولكن اكثر الناس عبيد أهواء نفوسهم بسبب التربية غير الصحيحة والميول نحو المادّة والغرائز.

وعلى كلّ حال، فالانسان له الاستعداد بالقوة أن ينال مقام الخلافة الإلهيّة، لأنّ وعائه الوجودي أوسع وعاء له قابلية تحمل مثل هذا المنصب العظيم.

انّ الأنبياء والأوصياء أهل العطف والرحمة والنصيحة والعدل والمحبّة، وفي قبالهم الجهلة من أهل الفتن والفساد والقتل والاعتداء.

للأنبياء علاقة تامّة بالله تعالى، لذا كانت جميع الموجودات مسخّرة في خدمتهم.

* * *

مقام الانسان الكامل

انّ من وظائف منصب الخليفة الإلهي هو دعوة العالم إلى العدل والصلاح والطهارة، فالانسان كلّما تكامل علماً وعملاً، كلّما اقترب بنسبة ذلك الكمال من مقام الخلافة الإلهيّة. ولهذا فإنّ معاجز الأنبياء وكرامتهم منوطة بمقامهم وثقل مسؤوليتهم.

انّ الدعوة إلى الاصلاح لا يتمكّن أن يدّعيها أحد غير الانسان الكامل، وقد تحمّل الأنبياء والأوصياء في هذا الطريق الأذى والهجرة حتى قال في ذلك نبيّ الاسلام صلّى الله عليه وآله: «ما اوذي نبيّ مثل ما أُوذيت»[2]، وقد كان

(١) هود: ١١٢.

(٢) كشف الغمّة ٢: ٥٣٧.

الأنبياء يتألّمون لمن لا يهتدي إلى الطريق المستقيم فكانوا كالأب العطوف على أولاده ، فأنزل الله في ذلك قوله : ﴿**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ألّا تَكُونوا مؤمنينَ**﴾[1].

* * *

(١) الشعراء : ٢ .



الدرس التاسع والخمسون

العلوم النورية

يحتاج تحصيل العلوم النوريّة إلى حركة معنوية دون الحركة الجسـمية ، ولا تختصّ هذه العلوم بأهل العلم فقط فيما إذا تهيّأت مبادىء ومقدّمات ذلك من الاعتقاد الصحيح والتديّن والأخلاق .

انّ مبادىء العلوم هم الأنبياء ، إذ تعود العلوم جميعاً إليهم وإلى الأوليـاء ، ولابدّ للانسان إن أراد الحصول عليها من إصلاح نفسه لتبقى هذه العلوم مشعلاً يضيء الدرب إلى الأبد .

انّ أساس تحصيل هذه العلوم هو الطهارة والاخلاص في العمل ، وكلّ من لم يسير في هذا الطريق يكون في خسران مبين[1] .

* * *

الاخلاص والحكمة

انّ الشباب والقوّة من الودائع المستردّة ، فان انقطعت لذائذ الدنيا باسترداد

(١) قال تعالى : ﴿والعصر إنّ الانسان لفي خُسر﴾ ، العصر : ١ و ٢ .

الودائع لم تنقطع اللذائذ المعنوية الباقية ، فعلى الانسان أن يعدّ نفسه لنيل تـلك اللذائذ ، فانّ اللذائذ المعنوية لا تكون من نصيب العين الخائنة واللسان الذرف ، فعلى الانسان اصلاح نفسه فانّه **«ما أخلص عبد لله اربعين صباحاً إلّا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»**[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) بحار الأنوار ٧٠ : ٢٤٢ ح ١٠ .



﴿الَّذي أحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ﴾[1]

التقدير في الخلق

ان التقدير والقضاء والقدر الذي يكون في ليالي القدر يكون حسب الموازين والعلم الالهي وهذا الأمر من المسلّمات عند المسلمين سوى شرذمة من الجهلة انكرت ذلك.

والتقدير عبارة عن اعطاء كل شيء ما يستحقه ويناسبه على أحسن وجه وأكمله، فليس في التقدير نقص، اذن ما هو منشأ تلك النواقص والمساوىء؟ ان هذا التقدير ضروري بالنسبة لعالم المادة، « ذلك تقدير العزيز العليم » فإن في تقدير الشمس والقمر وتسخيرهما نفع عالم المادة والمجتمع، فالتراب يسوق المعادن لئن تكون جواهراً والنبات الى أن تثمر وتينع.

* * *

(١) السجدة : ٧.

التقدير للأحسن

ان التقدير هو ان تعطي الاشجار ثمارها ، واما هل ان التقدير يصنع من الانسان مثل معاوية ويزيد ؟ وهل يمكن أن يقال بأن الله قدّر لكل موجود الأحسن ولم يقدّر للانسان ذلك ؟ كلاّ ، ان التقدير بالنسبة للانسان ايضاً تقدير للأحسن، التقدير الذي يستتبع النبوة والامامة والخير والصلاح والسعادة للانسان ، ولكن الانسان بسوء اختياره يسدّ على نفسه طرق الحق ويسير في طريق الشيطان الذي ليس فيه إلّاالفساد والإنحطاط ،ان الانسان وإن كانت فيه جنبة حيوانية لكن اذا شاء التقدير الالهي أن يكون ذو جنبة روحانية نورانية وأن يكون من الصلحاء والسعداء والاتقياء والأولياء كان كذلك ، وأما اذا سار الانسان في طريق الشيطان فليس ذلك من التقدير ، لأن الله اعطى الانسان قوة عاقلة وجعله مختاراً في سلوك أحد السبيلين ، فإن سار في سبيل الحق صار من السعداء وان سار في طريق الشيطان صار فرعون ونمرود .

* * *

التقدير والاختيار

ان الانسان في هذا التقدير مختار تماماً بخلاف سائر الكائنات التي تكون لها في هذا التقدير حركة قهرية فانه لايمكن ان تخرج الشمس ولا القمر عن المسير الذي قدره الله أن لهما ، للانسان تقدير للاحسن[١] .

إذا عطّل الانسان العمل بالاسلام والعقل واتبع هواه وألهى نفسه بلذة مؤقتة

(١) وبذلك يتّضح الجواب عن مسألة الجبر والتفويض التي طرحت في عصر الأئمّة عليهم السلام وأُثيرت حولها عدّة شبهات .

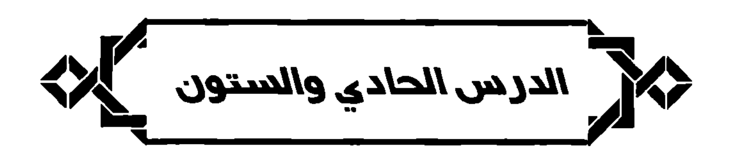
فلا يكون ذلك من التقدير الإلهي فإنه أُبيح للانسان أن يلتذ بلذائذ الدنيا المادية ولكن بشرط أن لا تضيع الحدود الالهية ، فعليه ان يستفيد جيداً من هذا الاختيار ، فلينظر الانسان الى الوراء ليرى من هم سالكي طريق الحق ومن هم سالكي طريق الشيطان ، ويرى البرزخ والقيامة و نتائج الأعمال .

إن التقدير الذي يقدّره الله للانسان هو تقدير للأحسن ، ولكننا نجهل ذلك ، فالتقدير هو الذي يكون ممزوجاً بالنورانية وفيه جنبة إلهية .

لأنّه ـ التقدير ـ لا يقول للانسان ابتعد عن المادة والماديات ، بل يقول له : اغتنم الماديات بشرط أن ترعى الحدود وحقوق الناس .

إن الاختيار بيد الانسان فتارة يصير بذلك بيناً واخرى اماماً معصوماً وثالثة فقيهاً ، فان لم يعتصم الانسان بحبل الله لم يكن يسور جناح ذبابة ، أما لو اعتصم بحبله تعالى لكان خالداً ، فمن أقبل على الله كان موضعاً لعنايته الله تعالى ورحمته .





﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1]

الاخلاص في العبودية

لقد صدق ابليس ما توعّده من اغواء العباد إلّا المخلصين ، وهذه الخطة الشيطانية عامة للأسود الأبيض والرجل والمرأة ولهذه الخطة واقعية ومصداقية .

ان الاخلاص هو التوحيد العملي في العبودية ، فليس لأحد غير الله نصيب في افعال المخلصين لأن العبادة مثل الصلاة والصيام والحج والجهاد تبني النفوس وتهذبها ، اي انها تضع الحجر الاساس في الباطن وتصلح الذات ، فلا يتطرّق إلى النفوس الالهية الفساد والشرور .

فالعبادة المهذّبة هي التي يكون فيها اخلاص ، فلو لم يشرك الانسان في عمله غير الله لا تخذت عبادته طابع الانسانية ولأخرجت المصلي عن الحيوانية .

ثم انه قد يكون الشريك مخلوقاً وقد يكون جماداً نظير المال والمقام ،

(١) ص : ٨٢ و ٨٣.

والشرك يخرج العمل عن لباس الاخلاص ، فالصلاة مع قليل من الاخلاص تنهى عن المحرمات من الغيبة والنميمة والافتراء ، فلو صلى ولم تكن صلاته مهذبة لنفسه فليعلم بأن في صلاته خلل فإن قبول الاعمال يشعر به الانسان في هذه الدنيا ، فإن كان ينوي رضا الله تعالى كانت صلاته مقبولة ، ولذا تكون العبادة مهذّبة للانسان .

* * *

بركات الإخلاص

ليس للتظاهر بالعبادة نتائجاً مطلوبه :

فإن من اعظم النعم الالهية الايمان والتقوى والاخلاق واما الحرمان فهو الحرمان من الهداية والتقوى وكمال الانسانية .

إن النعم لا تنحصر في النعم المادية فحسب فانه يوجد غير هذه النعم كالنعم المعنوية ، والجهل بعالم الغيب نوع من الحرمان ، فإن اراد الانسان النجاة من هذا الحرمان فعليه بالعبودية الخالصة لله ، عبودية ليس فيها لأحد نصيب سوى الله ، فيكون حينئذٍ مثل هذا العمل منشأً لنزول الفيض الالهي ، ولا ينحصر هذا الفيض بالمال ، بل الفيض هو ما وهبه الله للأنبياء كالعلم واستجابة الدعاء والحكمة وغيرها .

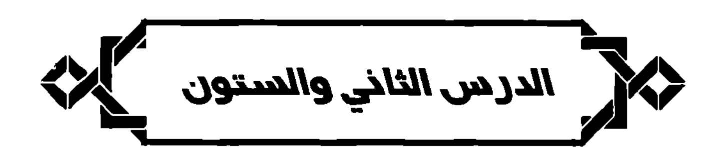
إنّه لابد من الاخلاص في العمل ، لأن التوحيد العملي هو الاخلاص في العمل ، فأنت تريد أن ترضى الله عنك وترضي صاحب بيتك وترضى جارك ، وأخيراً لا يرضى عنك احد ، وهذا بخلاف مالو كان العمل لوجه الله فإن الانسان لا يفتح لشيء حساباً ، بل يأخذ رضا الله بنظر الاعتبار حينئذٍ يأتيه الناس

ويتوجهون اليه ، هذا فيما اذا أخلصت في عملك ، وكان باطنك طـاهراً ، وكـان لسانك تحت اختيارك وزمام نفسك بيدك .

ان نداء الشيطان الذي ﴿**قَالَ فَبِعزَّتِكَ لأَغْوِيَنَّهُم أجْمَعِينَ إلّا عِـبادَكَ مِـنْهُم المُـخلَصينَ**﴾ يغوى الجميع إلّا عباد الله المخلصين وهذه العبادة بإخلاص منشأ البركات في الايمان والعلوم الالهية .

إن في نظام الخلق يوجد التدبير للمعيشة ايضاً كقوله تعالى : ﴿**ومن يـتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ إن اتّقيتم أتتكم اقواتكم الى ابواب بيوتكم ، وفقكم الله جميعاً خصوصاً المبلغين منكم .





الدرس الثاني والستون

« الصلاةُ معراجُ المؤمن »[1].

معراج الصلاة

ان الصلاة معراج اذا كانت عن نية خالصة وصدق في اقوالها ، عند ما يقول المصلي **﴿اياك نعبُدُ وإيّاك نستعينُ﴾** وأني اعبدك لا اعبد من سواك واستعين بك لا بغيرك ، فأنت سندي ومنك قضاء حوائجي ، وأنت ذخري .

ان الصوم والصلاة والحج هي من اجل الوصول الى مثل هذه المرتبة من الاخلاص والصدق ، وهذه المرتبة يخاطب فيها جميع الموجودات فيقال لها : أنت مثلنا في الخلق ، وأنّك لست آلهة من دون الله ، وهذا هو العروج ، ولكن يحتاج ذلك الى توفيق من الله ، وبهذه المرتبة يكون الانسان اشرف من الملائكة الذين **«منهم سجود لا يركعون ، وركوع لا يسجدون»**[2] من وجميع العقول المجرّدة وسائر الموجودات التي لا تعبد إلّا الله ، والسبب في ذلك هو ان حركة الانسان حركة عقلية ، وأنه مبتلى بشتّى الابتلاءات كالابتلاء بنار الباطن ونار

---

(١) بحار الانوار ٢ : ٢٦٨ .

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة : ١ .

الخارج[1]، وللملائكة هذه المرتبة لكن بما أن حركتها وسيرها عقلي ولم تبتلى بنار النفس الامارة ونار الشرق والغرب لأن الانسان اذا ابتلي بهاتين النارين وخرج موفقاً لكان افضل من الملائكة ، لان الملائكة لا مانع يوجد في سيرهم التكاملي ، واما الانسان فلو كان سيره سير الانبياء والأولياء لكان اشرف المخلوقات ، لان جبرئيل عليه السلام ليس له ذلك السير وان كان سيره عقلياً ومعنوياً لكنه غير مبتلى بنار النفس الامارة أو نار الشرق والغرب .

ان النبي صلى الله عليه وآله مع كونه مبتلى بالنفس الامارة وبأعداء من الخارج كانت حركته ذات صبغة إلهية ، لانه اشرف المخلوقات .

ان نار النفس نار عظمى ، وجميع النيران منذ اول يوم الخلق الى يومنا هذا كانت نيران الانسان ، وان النفوس الشيطانية هي التي اوجدت هذه النيران .

* * *

عروج على جناح الصدق

ان الصلاة معراج المؤمن الصادق في قوله : ﴿**ايّاك نَعْبُدُ واياك نستعينُ**﴾ ، فلو كرر الانسان هذه الجملة مائة مرة لما أوصلته صلاته الى مكان ، بل قد تهوى به ، فالعروج هو النتيجة الطبيعية للصدق ، لانه منشأ العلم والحكمة والقدرة وغيرها ـ.

عن النبي صلى الله عليه وآله : «**ما أُوذي نبيّ مثل ما أُوذيت**»[2] ، فقد كان يسمع كلام قريش البذيّ فيه لكنه لا يبالي بذلك حتى وصل الامرالى أن يقول

---

(١) القوى الاستعمارية هي النار الخارجية وهوى النفس والوساوس النار الباطنية .
(٢) كشف الغمة ٢ : ٥٣٧ .

المنافقون بأن رسول الله أُذن ، لا لأن النبي غير ملتفت الى ذلك بل لأنه من حسن خلقه الرفيع .

ان الصلاة تنهى عن المنكر ، فالذي يعبد الله لا يشرب الخمر و لا يكذب ، لان الله نهى عن ارتكاب جميع المحرمات ، ولأن ارتكابها يخرج الانسان عن كونه موحداً و عبداً لله ، وفقكم الله للصدق في العبادة لتنالوا بها العروج الى الحق ، وان كان لا حاجة لله بعروجنا ، لأنه ـ العروج ـ يصنع من الانسان نبياً ووليًاً ، جعلكم الله من الزائرين لقبورهم ان شاء الله .

* * *



الاختيار والانتخاب

ان الموجودات في العالم سواء كانت في الحيوان اوالنبات او الجماد تسير سيراً تكاملياً قدّره الله لها لتنال به كمالها المنشود ، فكل من هذه الموجودات يدور في فلكه التكاملي من دون ان يكون في نظامها الحيل والمكر ، فعمل الجميع وفق الخطة التي وضعها لها الله ، والحركة والسير التكاملي فيها جميعاً سير قهري اي ان الشجرة لا يمكن ان تعطي غير الثمار من النوع الخاص .

إنّ الانسان هو الذي يكون مخيّراً في حركته التكاملية ، فهو بإختياره يكون ولياً ويسير الحق والهدى والايمان ، وبسوء اختياره يكون سفيهاً قاتلاً وسفاكاً للدماء[1] ، فلماذا يسلك الانسان طريق الشر والباطل ويترك طريق الحق ؟

* * *

التصرّف في عالم المادة

لابد أن يكون الانسان متصرفاً في المادة حاكماً عليها ، قال تعالى : ﴿**كلّما**

(١) قال تعالى : ﴿**إنّا هَدَيناهُ السَّبِيلَ إمّا شاكِراً وامّا كَفُوراً**﴾ الانسان : ٣.

دَخَلَ عَلَيها زَكَرِيّاالمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزقاً قال يا مَريَمُ اَنّى لَكِ هذا قالت هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ﴾[١] ، فالمائدة من الله لا من أحد سواه ولا تعطىٰ لكل أحد.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت المائدة : «**اللـهم ائـتني بأحب خلقك إليك حتى يأكل معي من هذا الطير**»[٢] فدخل علي عليه السلام وأكل معه .

لابدّ لكم وأن سمعتم بنهاية طرق الحق طريق والشيطان ، فإن فرعون لما ضاقت به الارض ﴿**قالَ آمَنْتُ أنّه لا إله إلّا الّذي آمَنَتْ بِـه بَـنُو اِسْـرائـيلَ**﴾[٣] فجاءه الجواب :

﴿**فَالْيَومَ نُنَجِيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكونَ لِمَنْ خَلْفِكَ آيةً**﴾[٤] ، فلماذا ترك الانسـان طريق الحق ولجأ الى طريق الباطل ؟ ولماذا سالكي طريق الحقّ قلّة ؟

جواب ذلك أن : ﴿**اَكثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ ولأن ادراك الماديات أيسر عـلى الانسان بخلاف الايمان بالله والاهتداء فـان الافـهام لا تـدرك ذلك إلّا بـحركة سلوكية وهي تهذيب النفس ، فعلى الانسان تهذيب نفسه ليعرف ربّه ، وتنفعه تلك المعرفة في الدنيا وعالم البرزخ والآخرة ، ان الانسان لوكان يعصى الله باليوم مرة فليَر بعد عمر من الثمانين كم تكون عدد معاصيه ؟

ولا بدّ للانسان من شكر المنعم ، لا بأن يقول : شكراً لله ، لأن شكر الله هو بذل ما بوسعه في سبيل الله لا في سبيل الباطل .

ان الاتصال بالله يغني عن التوسل بسائر الأسباب ، ذلك ، أن «**من أصلح ما**

---

(١) آل عمران : ٣٧ .
(٢) بحار الانوار ٣٨ : ٣٥٥، ح ٨.
(٣) يونس : ٩٠ .
(٤) يونس : ٩٢ .

بينه وبين الله اَصلح الله ما بينه وبين الناس»[١] ، ولا فائدة في ذلك للفطنة والذكاء والمكر ، ونحن لا نريد أن نقول : اعتزلوا المجتمع ، كلاّ ، بل كونوا في المـجتمع وأعملوا بما يرضي الله وانظروا ما يحتاج اليه وواسوا الناس في ذلك .

لقد تعرّض رسول الله ومريم عليهما السلام الى الأذى والإفك ، فقد قـيل لمريم : **﴿ما كانَ اَبوُكِ امْرَأ سَـوءٍ وَمـا كـانَتْ أُمّكِ بـغياً فَأشـارَتْ اِليـهِ﴾** ـ الى عيسى ـ فأنطقه الله فقال : **﴿اِنّي عَبْدُ اللهِ آتانِي الكِـتابَ و جَـعَلَني نَـبيّاً﴾**[٢] ان الذي ينفع الانسـان هـو التـحول العـلمي وذلك بـترك الغـيبة والفسـاد وسـائر المعاصي ، حينئذٍ يقترب الانسان من الله تعالى .



(١) نهج البلاغة : الحكمة ٨٩.
(٢) مريم : ٢٨ و ٣٠.

الدرس الرابع والستون

طريق الحق والباطل

ان امام الانسان المجرّد عن المعاصي والذنوب والمبرّأ من ادناس ما في اصلاب الرجل وأرحام الأُمّهات ـ كآدم عليه السلام الذي كان اول ما خلق الله ـ طريقان ؛ طريق الحق وطريق الباطل .

فطريق الحق عبارة عن الايمان بالله وطاعته والالتذاذ باللذائذ المادية بما لا يخرجه من حق ولا يدخله في باطل كتعدي حدود الله والاعتداء على حقوق الآخرين الذي يؤدي الى ضياع حدود الله ، فمثل هذا الانسان يكون مؤيداً من الله ويُزداد في ايمانه ايماناً ، واما الطريق الآخر فهو أن يفرط في الالتذاذ بالماديات فلا يفرّق بين مال الناس وماله ولا يبالي ضاعت حقوق الآخرين ام لا ، وهل في ذلك معصية لله ام لا ؟

وبما أن الله اودع في الانسان عقلاً ونفساً جعله مختاراً أحد السبيلين ، فإما يكون عبداً لله أو يخالف الحق ويرتكب كل فعل حراماً كان أو حلالاً .

* * *

الشقاء

وأما الاشقياء من الناس فليسوا على الفطرة ، ولعل الشقاء يشبه الاعتياد على المواد المخدّرة ، فإن هذه المواد مع أنها على خلاف فطرة الانسان تجد البعض مبتلون بها ، وهكذا المعاصي فإنه بسبب التسامح بارتكابها تكون ملكة في الانسان .

ان ما تقتضيه النفوس ليس الكفر والضلال ، فإن قلت : هذا بكذب وتلك ليست غيبة كان ذلك مخالفاً لإرادة الله من الانسان ان يكون نزيهاً .

فالفطرة هي التي يمكن فيها الايمان والعبودية والهداية ، وتزول هذه الفطرة بسبب ما يرتكبه الانسان من معاصي ، فتجده إن عصى الله وكذب مثلاً يقول : لم ينزل بنا العذاب ولم نجد بذلك خسراناً ، فانه يقال له : ان الضرر الذي حصل لك جرّاء الكذب هو سلب صلاحية الرحمة الالهية منك .

فلا تظنّوا أن الرحمة الإلهيّة تتلخّص في لباس وطعام الانسان وشهواته ، فانّ الرحمة ما كان قد حاز عليها الانبياء والأولياء من التصرّف في الكون ، فقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول للشجرة اليابسة : اخضرّي فتخضّر ، وكان عيسى يحيي الموتى باذن ربّه ، هذه الرحمة والألطاف الإلهيّة ، فإن هؤلاء لم ينالوا تلك الدرجة إلّا بالعبودية لله تعالى .

إنّ الانسان إذا صار نورانياً يسرك النظر إليه ، ولهذه الآثار وجهه إلهيّة ، وانّ النظر إلى بعض الوجوه يغيّر حال الانسان .

ان سيماء الأولياء تجذب النفوس إليها فإن الكثير أرادوا اغتيال رسول الله صلّى الله عليه وآله ولكنهم لما ينظرون إليه ينقلب حالهم ، وهذه رحمة إلهية ،

فليس كل الرحمة هي المال ، فإن من الرحمة ما بين أظهرنا من القـرآن الكـريم وحكومة الاسلام على جميع الكرة الأرضية كما أن يوم ذلك ليس ببعيد .

* * *

علو الهمّة

ان نعم الله تعالى كثيرة على خلقه والانتفاع أو الالتذاذ بتلك النعم الوافـرة يتبع همّة الانسان ، فنصيب كل انسان منها بمقدار همّته ، فبعض يكـتفي بـجمع المال ويقول : الآن صلح حالي ، وبعض يتعلّم بعض العلم ويقول : اكتفيت ، وانّي تقدمت على زملائي ، وهذه هي أخطاء الانسان ، فإنه لا يصح قياس حـاله إلى حال بعض الناس بل لا بد من قياسه إلى حال جميع البشر ، حينئذٍ يجد أن وضعه بالنسبة إليهم صفراً ، فللهمّة العالية تأثير لا تجعل الانسانقانعاً بما في يده في كل ما يتعلّق بالدنيا والآخرة .

انّ الانسان عندما يموت اما يكون وجوده ظلمة محضة أو نور مـحض ، وانّي احتمل أن يكون النور ساتراً للانسان في تلك النشأة ، وأمّا لو كان الموجود ظلمانياً فسوف يكون عارياً .

* * *

فهرس الموضوعات